العدد 12A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية شبـــاط 2026
No. 12A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences February 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

مرتكزات النهضة الحضارية للأمة الإسلامية وفق فكر ومنظور السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

م.د. فاطمة عبد سعيد المالكي
الاختصاص الدقيق : تاريخ الفكر الاسلامي
قسم التاريخ، كلية التربية الاساسية، جامعة ميسان، العراق
البريد الالكتروني: fatima.abed@uomisan.edu.iq
https://orcid.org/0009-0000-0574-1404

الملخص

يتناول هذا البحث مرتكزات البناء والنهضة للأمة الإسلامية وفق منظور وفكر السيدة فاطمة الزهراء "عليه السلام" من خلال خطبها المباركة، ولا سيما خطبة فدك، بوصفها خطابًا تأسيسيًا يحمل أبعادًا فكرية وحضارية شاملة. وينطلق البحث من مقاربة تحليلية تهدف إلى بيان مفهوم النهضة الحضارية في الفكر الإسلامي، ثم الكشف عن المكانة الفكرية والحضارية للسيدة فاطمة الزهراء "عليه السلام " وصولًا إلى استنباط مرتكزات النهضة كما تتجلى في مضامين خطبها , يعالج المحور الأول مفهوم النهضة الحضارية في الفكر الإسلامي، من خلال بيان أنها عملية شاملة لإعادة بناء الإنسان والمجتمع والدولة على أساس القيم الإلهية، وأنها لا تقتصر على التقدم المادي، بل تقوم على التكامل بين البعد القيمي، والتشريعي، والاجتماعي، والسياسي, ويؤكد هذا المحور أن النهضة في الرؤية الإسلامية ترتبط بالوعي، والإصلاح، وتحقيق العدل، وضمان المصلحة العامة , ويتناول المحور الثاني السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" ومكانتها الفكرية والحضارية، بوصفها شخصية محورية في صياغة الوعي الإسلامي المبكر ,إذ تكشف خطبها عن وعي عميق بطبيعة التحولات السياسية والاجتماعية بعد رحيل النبي "صلى الله عليه وآله "، وعن دورها في ترسيخ القيم، وتصحيح مسار الأمة، وتحميلها مسؤولية تاريخية تجاه مستقبلها الحضاري ,أما المحور الثالث فتناول مرتكزات النهضة الحضارية للأمة الإسلامية في فكر السيدة الزهراء "عليه السلام"، حيث يبدأ ببيان الوعي بالانحراف وضرورة الإصلاح بوصفه المرتكز الأول للنهضة، إذ لا يمكن لأي مشروع حضاري أن ينطلق دون تشخيص دقيق لمواطن الخلل والانحراف. ويؤكد هذا المرتكز على دور الوعي النقدي في تحريك عملية الإصلاح ,واما المرتكز الثاني اعتبر منهج التوحيد الأساس العقدي والفكري للنهضة، إذ يحرر الإنسان من الخضوع لغير الله، ويؤسس لوحدة المرجعية القيمية والتشريعية، بما يضمن تماسك البناء الحضاري للأمة , ويركّز المرتكز الثالث على القرآن الكريم بوصفه أساس التشريع والتنظيم، حيث تُظهر خطب الزهراء "عليها السلام" مركزية القرآن في تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واعتباره المرجعية العليا التي تضبط مسار البناء الحضاري وتمنع الانحراف ,ويُعالج المرتكز الرابع قيادة الأئمة المعصومين "عليهم السلام" بوصفها الضامن لاستمرار المنهج الرسالي وحماية مشروع النهضة من التحريف، لما تمثله هذه القيادة من امتداد للمرجعية الدينية والأخلاقية والتشريعية , كما يتناول المرتكز الخامس التأسيس القيمي لبناء النظم العامة الاجتماعية والاقتصادية والقضائية والتعليمية، ويختتم المحور الثالث بالمرتكز السادس، وهو المقاومة والصمود الاستراتيجي، المتمثلين في الجهاد والصبر، بوصفهما عنصرين أساسيين في حماية مشروع النهضة من التحديات الداخلية والخارجية، كما يتجلى في خطبها المباركة، يقدم مشروعًا متكاملًا للبناء والنهضة الحضارية للأمة الإسلامية، يقوم على الوعي، والتوحيد، والمرجعية القرآنية، والقيادة الشرعية، والتأسيس القيمي، والمقاومة الواعية، بما يجعله إطارًا صالحًا للتفاعل مع تحديات الواقع الإسلامي المعاصر .

الكلمات المفتاحية : المرتكزات، النهضة، فكر، الوعي، الخطاب، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام).

The Pillars of the Islamic Ummah's Civilizational Revival in the Thought and Perspective of Lady Fatimah al-Zahra (peace be upon her)

Dr. Fatima Abd Saeed Al-Maliki
Department of History, College of Basic Education, University of Maysan, Iraq
Email: fatima.abed@uomisan.edu.iq

ABSTRACT

The study examines the foundationa of construction and civilization renaissance for the Islamic nation from the perspective and thought of Lady Fatima al-zahra (peace be upon her) through her blessed sermons, especially the sermon of Fadak, viewed as a foundational discourse discourse carrying comprehensive intellectual and civilization dimensions. The research adopts an analytical approach aimed at clarifying the concept of civilization renaissance in Islamic thought, then revealing the intellectual and civilizational status of Lady Fatimah Al-zahra (peace be upon her) , and finally deriving the pillars of renaissance as reflected in the content of her sermons.The first section addresses the concept of civilizational renaissance in Islamic thought, explaining that it is a comprehensive process of rebuilding the individual, society, and the state on the basis of divine values. It is not limited to material progress but is grounded in the integration of moral, legislative, social, and political dimensions. This section emphasizes that Renaissance in the Islamic vision is linked to awareness, reform, the establishment of justice ,and the safeguarding of the public good .The second section discusses Lady Fatimah Al-Zahra (peace ve upon her) and her intellectual and civilizational standing as a central figure in shaping early Islamic consciousness. Her sermons reveal a profound awareness of the political and social transformations following the Prophet's passing (peace be upon him and his family), as well as her role in consolidating values, correcting the course of nation, and assigning it a historical responsibility toward its civilizational future The third section explores the pillars of civilizational renaissance for the Islamic nation in the thought of Lady al-Zahra (peace be upon her). It begins with awareness of deviation and the necessity of reform as the first pillar, since no civilizational project can begin without an accurate diagnosis of points of deficiency and deviation. This pillar underscores the role of critical awareness in initiating reform. The second pillar considers the doctrine of monotheism (tawhid) as the foundational theological and intellectual basis for renaissance, as it liberates the individual from subservience to anything other than God and establishes unity in moral and legislative reference, ensuring the cohesion of the nation’s civilizational structure .The third pillar focuses on the Qur’an as the foundation of legislation and organization.

Keywords: Pillars, Renaissance, Thought, Awareness, Discourse, Lady Fatimah al-Zahra (peace be upon her)Keywords: Pillars, Renaissance, Thought, Awareness, Discourse, Lady Fatimah al-Zahra (peace be upon her) .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المنتجبين, يُعَدّ الفكر الإسلامي من أغنى المنظومات الحضارية التي قدّمت رؤية متكاملة للإنسان والوجود والتاريخ، تجمع بين الإيمان والعقل والعمل, وقد شكّلت خطب السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" نموذجًا راقيًا لتجلّي هذا الفكر في أبهى صوره الخطابية والعقائدية فالخطبة لا تمثل مجرد نص تعبّدي أو وعظي، بل هي بيان حضاري شامل يقدّم أدوات الفكر الإسلامي في بناء الإنسان والمجتمع والدولة على أسس التوحيد والعقل والعدل والغاية الالهية, وهذا ما يدرسه عنوان البحث (مرتكزات النهضة للأمة الإسلامية وفق فكر

ومنظور السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام") حيث يعد موضوع البحث من الدراسات البكر التي انتهجت هذا المسار الجديد في قراءة فكر السيدة الزهراء للإفادة منه في إيجاد الحلول للتحديات الحضارية التي تعيشها الأمة الإسلامية, حيث يُعَدّ الخطاب الزهرائي من أرقى النصوص الإسلامية التي جمعت بين البيان الإلهي والعمق الحضاري والفكر الإنساني فأقوالها وخطبها " سلام الله عليها " تعكس الوعي العقائدي، والرؤية الكونية، والبعد الاجتماعي والسياسي في آنٍ واحد , ومن خلاله تتجلّى معالم البناء الحضاري كما أرادها الإسلام بناءًا يقوم على التوحيد والعقل والعدل والقيادة الرسالية، والمقاصد الغائية السامية, ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى استقراء مرتكزات البناء الحضاري الكامنة في هذا النصّ، واستجلاء الدروس الفكرية التي يمكن توظيفها في بناء نهضة إنسانية معاصرة ,وتمثل خطب السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" ولا سيما خطبتها الشهيرة المعروفة بـ " خطبة فدك " وثيقة فكرية وعقائدية ذات أبعاد حضارية عميقة، تعكس وعيًا رساليًا متكاملًا بدور الإسلام في بناء الإنسان والمجتمع والدولة, ولا تقتصر أهمية هذه الخطب على بعدها التاريخي أو العقدي فحسب، بل تتجاوز ذلك لتقدم تصورًا نظريًا وعمليًا لعوامل بناء الحضارة الإسلامية في مرحلة ما بعد الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله " وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يحاول استقراء الأسس الحضارية في فكر " السيدة الزهراء عليها السلام " بوصفها امتدادًا للرسالة النبوية، ونموذجًا للقيادة الواعية في مواجهة الانحرافات الفكرية والسياسية.

إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

ما مرتكزات البناء والنهضة الحضارية للأمة الإسلامية في فكر السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " وما مدى صلاحية واهمية هذا الفكر والمنظور للإسهام في معالجة إشكالات الواقع الإسلامي المعاصر؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية، من أبرزها:

1. ما الأسس القيمية والفكرية التي اعتمدتها السيدة الزهراء "عليها السلام "لبناء الأمة ونهضتها من جديد
2. كيف يسهم فكر السيدة الزهراء في بلورة مفهوم بناء الامة ونهضتها بوصفه مشروعًا أخلاقيًا–اجتماعيًا متكاملًا؟
3. ما موقع المسؤولية الاجتماعية والضمير القيمي في بناء النهضة وفق منظورها "سلام الله عليها"؟
4. إلى أي مدى يمكن تفعيل مرتكزات البناء والنهضة المستخلصة من فكر ورؤية السيدة الزهراء "سلام الله عليها" في السياق الحضاري المعاصر؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة مستويات متداخلة، يمكن إجمالها في الأهمية العلمية والمعرفية حيث يسهم البحث في إثراء الدراسات الفكرية والحضارية المتعلقة بدور الخطاب الإسلامي التأسيسي في بناء النهضة، من خلال تقديم قراءة تحليلية معاصرة لفكر السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام "، بوصفه نموذجًا فكريًا متقدمًا للوعي الحضاري والإصلاح القيمي, وكذلك الأهمية الحضارية وتكمن في محاولة البحث إعادة توظيف خطاب الزهراء "عليها السلام " ضمن إطار مشروع نهضوي معاصر، يقوم على القيم والعدالة والمسؤولية الاجتماعية، بما يعزز قدرة الأمة على تجاوز أزمتها الحضارية, ومحاولة النهوض من جديد, في حين نجد الأهمية المنهجية واضحه اذ يعتمد البحث منهجًا تحليليًا يربط بين النص والخطاب والواقع، ويسهم في تطوير آليات قراءة النصوص الدينية بوصفها مصادر للفكر الحضاري، لا مجرد نصوص تاريخية أو وعظية, وتكمن الأهمية التطبيقية للبحث بما يوفره من أرضية فكرية يمكن الإفادة منها في مجالات الإصلاح الاجتماعي، وبناء الوعي القيمي، وتفعيل دور المسؤولية الجماعية في مشاريع النهوض الفكري والحضاري .

أهداف البحث

انطلاقا من الإشكالية البحثية اعلاه يسعى البحث الى تحقيق جملة من الأهداف العلمية:-

1. بيان الأبعاد المقاصدية الحضارية من خلال رؤيه السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " وإبراز العلاقة بين التشريع الاسلامي وقيمه الأخلاقية وبناء المجتمع والنهوض به بصورة عامة

2. الوقوف على مرتكزات لنهضة الأمة الحضارية وإبراز مدى صلاحية فكر السيدة الزهراء في إيجاد الحلول للتحديات الحضارية الراهنة التي تعيشها الأمة .
3. يأتي هذا البحث مساهمة علمية في دراسات تاريخ الفكر الإسلامي في بلورة إطار نظري نهضوي من خلال إعادة تفعيل قراءه رؤية وأفكار السيدة الزهراء وإبراز مضامينه كأطر حضارية قادرة على الجمع بين الأصالة والتجديد وبين القيم الإسلامية والواقع .

الدراسات السابقة

تنوّعت الدراسات التي اهتمّت بالبناء الحضاري للأمّة الإسلامية بتنوّع المناهج المعرفية والمرجعيات الفكرية التي انطلقت منها، إذ تناول بعض الباحثين نهضة الإسلامية من زاوية تاريخية تحليلية، بينما اقترب آخرون منها بمنهج فكري ومعرفي نقدي أو اجتماعي, وقد أسهم هذا التنوّع في بلورة رؤى متعددة حول أسس النهوض الحضاري في الإسلام ومكوّناته البنيوية. ويمكن ذكر جملة من الدراسات الحضارية التي تناولت مرتكزات الحضارة الإسلامية أو آليات نشأتها وتطورها، ثم بيان الفرق المنهجي بينها وبين منهج السيدة الزهراء في خطبها، وذلك على النحو الآتي:-

أولًا: دراسة ابن خلدون في " نظرية العمران" ؛ حيث فسّر نشوء الحضارة الإسلامية بوصفها ظاهرة اجتماعية تقوم على العصبية والدولة والعمران وتوازن البدو والحضر وان الدولة تنمو وتقوى ثم تضعف وهذه حتمية تاريخية، فالحضارة عنده نتاج تفاعل قوى اجتماعية وتاريخية. الفرق الجوهري أن ابن خلدون يقدّم تفسيرًا اجتماعيا لاحقًا للحضارة بعد تشكّلها، بينما منهج السيدة الزهراء منهج تأسيسي معياري يركّز على شرعية القيادة والالتزام بالنص والعدل بوصفها الشروط الأصيلة لبقاء الحضارة على مسارها الرسالي، أي أنها تنظر إلى القيمة المؤسسة لا إلى الظاهرة المتشكلة .
ثانيًا: دراسة مالك بن نبي في شروط النهضة والحضارة؛ إذ جعل الحضارة نتاج تفاعل " الإنسان والتراب والوقت " ضمن منظومة الفكرة الدافعة، فرأى أن الأزمة الحضارية هي أزمة أفكار وقابلية للاستعمار والفرق أن مالك بن نبي ينطلق من تحليل بنيوي لواقع الأمة بعد قرون من التراجع ليقترح شروط النهوض، بينما خطاب الزهراء يواجه لحظة الانحراف الأولى في صدر الإسلام ويعالج أصل الخلل في مفهوم السلطة والشرعية قبل أن يتحول إلى أزمة حضارية ممتدة .
ثالثًا: دراسة محمد عابد الجابري حول " العقل السياسي العربي"؛ حيث حلّل البنية المعرفية التي شكّلت السلطة في الإسلام عبر مفاهيم القبيلة والغنيمة والعقيدة، معتبرًا أن النظام السياسي نتاج تفاعل هذه المحددات والفرق أن الجابري يشتغل بمنهج علمي معرفي نقدي يفكك البنية الذهنية للسلطة تاريخيًا، بينما منهج السيدة الزهراء هو خطاب تقويمي معياري يستند إلى الوحي والنص النبوي لإعادة ضبط مفهوم الشرعية لا لتحليل بنيته الذهنية فقط .
رابعًا: دراسات أرنولد توينبي في فلسفة الحضارة؛ إذ فسّر نشوء الحضارات بمنطق "التحدي والاستجابة"، فرأى أن المجتمعات تتقدم حين تستجيب نخبها للتحديات التاريخية. الفرق أن توينبي يقدّم نموذجًا حضاريًا عامًا عابرًا للأديان، بينما خطاب الزهراء يقدّم نموذجًا إسلاميًا خاصًا يجعل معيار الاستجابة ليس مجرد التكيّف التاريخي بل الالتزام بالهدي النبوي والقيادة الشرعية بوصفهما الضامن الحقيقي لاستمرار الحضارة .
خامسًا: دراسات الفكر السياسي الإسلامي الكلاسيكي عند الماوردي في " الأحكام السلطانية "؛ حيث نظّم شروط الإمامة ووظائف السلطة ضمن إطار فقهي مؤسسي. الفرق أن الماوردي يكتب بعد استقرار التجربة السياسية الواقعية ليقننها فقهيًا، بينما خطاب الزهراء يسبق مرحلة التقنين ويعالج أصل الشرعية قبل أن تتحول إلى نظام مؤسسي، أي أنه خطاب سابق على التنظير الفقهي وموجّه لتصحيح مسار التأسيس ذاته .
والخلاصة المنهجية ان هذه الدراسات جميعها تتعامل مع الحضارة الإسلامية بوصفها ظاهرة تاريخية متشكلة تُدرس بأدوات علم الاجتماع أو الفلسفة أو الفقه السياسي، في حين أن منهج السيدة الزهراء يتميّز بأنه خطاب تأسيسي إصلاحي متقدم زمنيًا على جميع هذه الرؤى والنظريات في تشخيص

اسباب الخلل في بنية الامة وتراجعها حضاريًا, وكذلك يُكتب لفكر السيدة الزهراء قِدم السبق لكونه قدّمَ رؤية معيارية للمرتكزات الحضارية من داخل لحظة التكوين الأولى للأنحراف القيمي للأمة، فجعلت أساس نهضة الامة وتقدمها حضاريًا هو الالتزام بالنص النبوي، والعدل الأخلاقي، وشرعية القيادة المرتبطة بالإئمة المعصومين من أهل البيت "عليهم السلام" ولم تجعلها مجرد عوامل اجتماعية أو مؤسسية أو تحديات تاريخية فقط, وبذلك يكون الفارق أن الدراسات اللاحقة تفسّر تراجع الامة حضاريًا بعد وقوعه، أما منهج السيدة الزهراء فسعى إلى حماية الامة من الانحراف لحظة نشأته الأولى .

المنهج المتبع في دراسة البحث

تمت دراسة البحث من خلال المنهج التحليلي لخطاب السيدة فاطمة الزهراء واقوالها "سلام الله عليها" , إلى جانب المنهج الأستقرائي للنصوص واستنطاقها؛ للوصول إلى قراءة واعية ودراسة موضوعية وللوقوف على المقاربة المقاصدية لأقوال وخطب السيدة وتفكيك البنية اللغوية والمفاهيمية للخطبة واستخراج المفاهيم المركزية مثل الشرعية، والعدل، والإمامة، والوحدة، ثم إعادة تركيب هذه المفاهيم ضمن نسق فكري يكشف عن ورؤية السيدة الزهراء في تشخيص مقومات ومرتكزات نهوض الامة الإسلامية حضاريًا، فالنص هنا لا يُقرأ بوصفه سردًا تاريخيًا بل بوصفه بنية دلالية تحمل مشروعًا فكريًا وحضاريًا مضمرًا .

خطة دراسة البحث

تمت دراسة موضوع البحث في ثلاثة محاور مركزية؛ المحور الأول: مفهوم النهضة الحضارية في الفكر الإسلامي ويهدف إلى تأطير المفهوم نظريًا من خلال تتبع دلالات النهضة في النصوص القرآنية والحديثية، ثم في التراث الفكري الإسلامي، بوصفها عملية شاملة تتجاوز التقدم المادي إلى بناء الإنسان عقيدةً وأخلاقًا ونظامًا اجتماعيًا وسياسيًا، وبذلك يوضح هذا المحور أن النهضة الحضارية في الرؤية الإسلامية ليست قطيعة مع الماضي بل تجديدٌ يستند إلى الوحي والقيم الرسالية, والمحور الثاني: المكانة العلمية والحضارية للسيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" يتناول شخصيتها بوصفها نموذجًا علميًا وحضاريًا أسهم في صياغة الوعي الإسلامي في مرحلته التأسيسية، وذلك عبر تحليل دورها المعرفي والرسالي في حفظ التراث النبوي وبيان معالم القيادة الشرعية وتصحيح الانحرافات الفكرية والسياسية التي ظهرت بعد وفاة النبي "صلى الله عليه وآله"، واما المحور الثالث: مرتكزات نهضة الأمة الاسلامية في فكر السيدة الزهراء "عليها السلام" فيسعى إلى استنباط الأسس النظرية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي السليم كما عرضتها السيدة الزهراء في خطابها، حيث يركّز على أن النهضة الحضارية لا تتحقق بمجرد تغيير سياسي أو إداري، بل عبر تأسيس منظومة قيمية تضبط علاقة الفرد بالمجتمع والسلطة والشريعة, الأمر الذي يجعل هذه المرتكزات إطارًا نظريًا يمكن الإفادة منه في قراءة أزمات الواقع الإسلامي المعاصر ومحاولات تجديد مشروع النهضة على الأسس الرسالية الأصيلة .

المحور الأول : مفهوم النهضة الحضارية في الفكر الإسلامي

يعد مفهوم النهضة من حيث المفردة حديث التداول في الفكر الإسلامي أما من حيث المعنى والمحتوى فيوجد ما يشير إليه أو ما يعبر عنه كالإصلاح والتجديد والأحياء وغيرها من المصطلحات التي سنأتي على توضيحها ,وأول من استعمل هذا اللفظ كمصطلح هم الأوروبيون حيث أطلق على فترة معينة من " تاريخ أوروبا " بما عرفته تلك الفترة من تحولات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية وما واكبها من تحولات واتجاهات جديدة في مجالات الدين والعلم والفلسفة وغيرها (وقيدي وآخر,2002, ص 90-91) وأطلقت مفردة النهضة على الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف " القرن الرابع عشر الميلادي " وانتهت في " القرن السابع عشر " وامتدت من " إيطاليا إلى بقية أوروبا " (الحنفي ,1999,ص 1432- 1433) ويرى بعض المفكرين أن النهضة الحضارية تعني " نظرية الصعود من درجة الى أعلى "(غليون , 1992,ص 92) وعرفها آخر بأنها " إيصال العرب إلى مستوى الحضارة الكونية " (صبري,1992, ص4) وسنأتي على توضيح مفهوم المدلولات اللغوية المتداولة في الفكر

الاسلامي والتي تعبر عن النهضة وهي عديده منها ؛الاصلاح والتجديد والاحياء ,اما الاصلاح لغة: من "صلح الشيء يصلح صلوحاً، وجميعها تدل على الصلح وهو نقيض الفساد؛ فيقال صلحت حال الرجال، أي أزيل الفساد عنه " (الجر ,1973, ص 111) اما اصطلاحا : " هو إعادة تشكيل الشيء وتجميعه من جديد، أو هو تحسين الحالة أو تصليحها وبنائها، أو هو تعديل غير جذري في شكل الحكم، أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو ليس سوى تحسين في النظام السياسي الإجتماعي القائم دون المساس بأسس هذا النظام " (بعلبكي,1986, ص 770) وقد وردت مفردة الإصلاح بشكل صريح وواضح في العديد من ايات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ " (سوره البقره , ايه 11) وكذلك جاء الاصلاح في الاحاديث المباركة للنبي " صلى الله عليه واله " بقوله : " ألا وَإِنَ في الْجَسَدْ مُضْغَة إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلهُ وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُله ألا وَهِي الْقَلبْ " (البخاري, 1981 ,1/ 19) والصلاح :" هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع" (التهانوي,1996، ص 193) وقيل أنه : " التغيير إلى استقامة الحال " (ابن الهائم، 2003، ص51) وان محور رسالة النبي "صلى الله عليه واله" هو " الإصلاح الذي من خلاله استطاع أن يمحو العادات والأفكار الجامدة؛ فأخرج من الاندثار الإصلاح ومن الجمود النماء "(الغزالي,1964,ص81) أما الإحياء ؛ فهو من أبرز المصطلحات استعمالا في الفكر الإسلامي واكثرها تعبيرًا عن النهضة؛ لان الاحياء يستهدف التفكير والسلوك والذي يعد من اهم المرتكزات التي تقوم عليها النهضة، ومن أبرز العلماء الذين استعملوا هذا المصطلح هو " الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين" والذي تناول فيه العقائد والعبادات وغيرها من المسائل ، وقد ذكر الاحياء في القران الكريم في قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " (سوره الانفال ,الآية 24) ، أي إحياء وطاعه الاوامر القرآني والأحكام الإسلامية وجعلها سلوك حياة يومية ،وقد فسر على انه استجابة للحق أوانه الاستجابة للقرآن الكريم والسير على نهجه (الطبري, 1995, 9 / 282) أما الحضارة فتعرف لغة : بأنها " الإقامة في الحضر" (الجوهري, 2/ 633) والحضارة نقيض البداوة" الإقامة في البادية تفتح وتكسر وهي خلاف الحضارة" (الجوهري, 6/ 2287) أما اصطلاحاً فتعدّدت تعريفات الحضارة لاختلاف المدارس الفكريّة نذكر منها تعريف أبو الأعلى المودودي بأنها: " نظام متكامل يشمل كل مال الانسان من افكار واراء وأعمال واخلاق في حياته الفردية أو العائلية او الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية" (أبو الأعلى المودودي ,د.ت, ص 288) وهدفت الرسالة الإسلامية لبناء الأمة على الأسس القرآنية والسنة النبوية حيث عدة المنطلقات الأولى لبناء الأمة وبناء الإنسان وإعمار الأرض بما تحمله الآيات القرآنية من سنن إلهية في الإنسان والكون دفعت بالمسلمين إلى العمل بجد واجتهاد على تطويع قوي الطبيعة وعناصرها وتسخيرها لصالح الإنسان والبشرية جميعًا .

المحور الثاني : المكانة العلمية والحضارية للسيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام"

احتلت السيدة الزهراء عليها السلام موقعًا علميًا رفيعًا داخل المجتمع الإسلامي الأول، فقد نشأت في بيت النبوة وتلقت معارفها مباشرة من الرسول الأكرم محمد بن عبد الله "صلى الله عليه وآله"، مما أكسبها علمًا قائمًا على الوحي والمعرفة الأصيلة بالدين, وهذا القرب العلمي جعلها واعية بأصول الشريعة ومقاصدها، وقادرة على تحليل الأحداث السياسية والاجتماعية وفق ميزان النص والرسالة, ويتجلّى عمقها العلمي في خطبتها المعروفة بالفدكية التي عرضت فيها أصول العقيدة، وفلسفة التشريع، وأسس العدالة الاجتماعية، مما يدل على امتلاكها رؤية معرفية متكاملة حول الدين والمجتمع والدولة, وإن خطابها لم يكن مجرد وعظ أو احتجاج، بل بناء نظري يربط بين التوحيد والنبوة والإمامة بوصفها ركائز لضمان استقامة المسار الحضاري للأمة, وقد شكّلت شخصيتها محورًا لفهم عميق لطبيعة القيادة والعدالة والارتباط بين الدين والواقع، مما جعلها حاضرة في ضمير الأمة الإسلامية , وكان لها حضورها في التمثيل القرآني فارتبط اسمها بالعديد من الآيات المباركة التي نزلت في حق أهل بيت النبي "عليهم السلام" منها اية التطهير في قوله تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا " (سورة الاحزاب, ايه 33) التي دلت على مكانة السيدة الروحية والطهارة المعنوية والشرف

العظيم والفضل الخاص(الطبري, 1995, 9/ 22) وفي آية المباهلة , قال تعالى: " فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ " (سورة آل عمران, اية 61) أجمع المفسرون أن السيدة فاطمة هي مصداق نسائنا فكانت اية من آيات الله تعالى مع آيات مقام النبوة (مقاتل, 2003, 174/1) وكذلك قدمها القرآن الكريم في سورة الانسان في قوله تعالى :" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا " (سورة الانسان ,آيات 8-9) نموذجًا للزهد الاسلامي في الأمة (السمعاني,1997, 4 /196) وحظيت السيدة الزهراء بالوحدة الفكرية والروحية بينها وبين النبي " صلى الله عليه وآله " حيث قال: " فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها " (النسائي,1991, 5/ 97) وهذا من الأحاديث التي يفهم منها في الفكر الإسلامي إثبات المكانة الأخلاقية والاستثنائية للسيدة وكونها معيارا للرضا والغضب النبوي ومواقفها امتدادا للمواقف النبوية فهي سيدة نساء العالمين وحلقة الوصل بين النبوة والإمامة ونموذجًا للزهد والطهارة والقدوة الدينية والأخلاقية , وتمتعت السيدة فاطمة الزهراء بالمكانة الفكرية والسياسية ولم يكن فكرها "سلام الله عليها" وليد الانفعال او الظرف السياسي بل هو نتاج منظومة معرفية متكاملة فهي ربيبة القرآن الكريم والنبوة الخاتمة, وعقلية سيدة نساء العالمين والتجربة التاريخية والوعي الرسالي, ويدلل ما قاله العلامة الالوسي في حق السيدة الزهراء على رفيع منزلتها العلمية عند المسلمين عامة ورقي مكانتها بأنه لو علم رسول الله"صلى الله عليه وآله" ببقاء السيدة الزهراء من بعده عمرًا اطول لقال :" خذوا كل دينكم عن الزهراء" (الالوسي, 1994, 150/2) فهو اعتراف بمكانة فاطمة الزهراء "عليها السلام "كمرجعية معرفية للمسلمين من بعد النبي "صلى الله عليه واله "حيث يبرز هذا القول مكانة السيدة فاطمة الزهراء العلمية والروحية وعدها مصدر علم وحكمة ومرجعية بعد النبي, فهي القادرة على نقل المعارف النبوية والشرعية الصحيحة للأمة، ويعكس هذا النص الاحترام العميق لمكانتها في المجتمع الإسلامي المبكر ويدل ايضًا على الثقة بالنقل المعرفي عن أهل البيت "عليهم السلام "ويشير الالوسي إلى أن السيدة فاطمة "عليها السلام "كانت كافية لتكون مصدرًا أساسيًا للتعلم، وان يؤخذ منها الدين كله وما يحتاجه المسلمين من العلوم الالهية. وقد مثل خطابها بعد وفاة رسول الله " صلى الله عليه وآله " والمعروف بـ" خطبة فدك " (الطبرسي, 1966, 134/1) وثيقة فكرية متقدمة في التاريخ والفكر الإسلامي ومثالًا مبكرًا للنقد السياسي في الإسلام, حيث كان اعتراضها شخصيًا بالدفاع عن مبدأ الشرعية التي ربطت فيها بين السلطة والعدل والنص الشرعي, وعاشت السيدة الوضع العام للمسلمين وشاركت في الشأن الفكري والسياسي وخاطبت السلطة مباشرة فأسست حضاريًا لنموذج المرأة العاملة الواعية التي جمعت بين العبادة والموقف, ومثلت القدوة النسائية العليا في الإسلام, أما في الفكر المعاصر تُستَحضر شخصية الزهراء "سلام الله عليها" كنموذج للعدالة ورمز للمقاومة الأخلاقية وكأمثولة للإصلاح المجتمعي السلمي .

المحور الثالث: مرتكزات نهضة الأمة الاسلامية في فكر السيدة الزهراء "عليها السلام"

تضمن خطاب السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" رؤية إصلاحية شاملة تتجاوز البعد الحقوقي الظرفي إلى أفق حضاري متكامل يهدف إلى إعادة بناء الأمة على أسس عقائدية وأخلاقية وسياسية راسخة، ولأنه يعالج ثلاث دوائر متكاملة: دائرة العقيدة التي تؤسس للشرعية، ودائرة الأخلاق التي تحفظ القيم الإسلامية، ودائرة السياسة التي تنظّم ممارسة السلطة. ومن تفاعل هذه الدوائر تتكوّن رؤية حضارية شاملة ترى أن بقاء الأمة وريادتها مرهونان بالالتزام بالمنهج النبوي في القيادة والعدل والمعرفة، لا بمجرد الترتيبات السياسية المؤقتة وبهذا يشكّل خطاب السيدة "سلام الله عليها" مدخلًا فكريًا أصيلًا لعدة مرتكزات مهمة لابد منها لبناء نهضة الأمة الإسلامية من جديد. ولكونها تحدد المنطلق المرجعي لبناء النهضة، وتمنح المشروع الإصلاحي أساسًا فكريًا واضحًا ينطلق من العقيدة والقيم الرسالية، فلا تكون النهضة حركة عفوية أو ردّة فعل ظرفية، بل مشروعًا واعيًا مؤسسًا على مبادئ ثابتة تضبط مسار الأمة وتمنع انحرافه . ومن اهم هذه المرتكزات ما يأتي :-

المرتكز الاول: وعي الأمة بأنحرافها عن النهج الرسالي وضرورة الإصلاح

ادركت السيدة الزهراء ان من متطلبات التحرك نحو البناء والنهضة وتغيير حال الامة المتراجع قيميًا هو ان يكون هناك توجه نفسي ووعي حقيقي للنهوض بالوضع وإدراك الأمر وتصحيح الانحراف بالرجوع الى التخطيط الالهي الناجح الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لإدارة حياة الفرد والمجتمع والمتمثل في التشريعات الإسلامية ومرجعها كتاب الله الحق " القرآن الكريم " لكونه المرجعية الوحيدة التي وصفت الدواء لداء الامه وامراضها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من الامراض ,وهي تشريعات فُرِضت أبتداءًا لنجاة الأمة وسعادة حياتها في الدارين ,وعلى الامة الالتزام بها سواء بوجود النبي "صلى الله عليه وآله" أو بعد وفاته فان هذا لا يغير من الالتزام بها وتطبيقها في شيء ,فإنما نعيشه اليوم من ازمة التخبط والفرقة والضعف وضعت السيدة يدها على جذور هذه الأزمة وبداية الخلل والانحراف كان بعد وفاة النبي " صلى الله عليه وآلة " بانقلاب الأمة على قيمها ومبادئها وعهودها الإسلامية فارتدت على اعقابها حينما اختبرها الله بحقوق اهل بيت النبي وميراثهم بعد وفاته " صلى الله عليه وآله " انقلبوا لا كفرًا بل شركًا حيث قدم الأشخاص مصلحتهم الذاتية على المصلحة العليا للإسلام والمجتمع الإسلامي فقدموا مصالحهم على شرع الله وقوانينه وأشركوا مصالحهم في واقع إدارة أمور المجتمع , وأيضًا تمثلت حالة الانفصام القيمي بالتناقض بين ما يؤمن به المجتمع قلبيًا من احقاق الحق ورفض الظلم واستنكاره, ومنه ما اقدمت عليه النخبة الحاكمة من ظلمها واغتصاب حقوقها وتعطيل النص القرآني في إعطاء ميراث المتوفى لأهله إذ خاطبت السيدة هذه الشريحة بالاحتجاج الاستدلالي اعتمادا على القرآن الكريم بلغة فقهية وعقائدية واضحة محملة الحاكم مسؤولية تعطيل حكم النص القرآني عن أداء وظيفته الحقوقية والإصلاحية وهو مؤشر خطير على وتناقض السلطة الحاكمة في سياستها بين ادعائها الإسلام ومرجعيتها القرآن الكريم وبين الممارسة العملية تجاه حقوق المسلمين بتركها تطبيق القرآن الكريم وآيات المواريث ومعالجة الوضع بالتوافقات السياسية والقبلية فظلموا الزهراء حقها في ميراث أبيها وهي ابنة النبي الخاتم "صلى الله عليه وآله " التي لا يأتيها الباطل لا من امامها ولا من خلفها ومع ذلك ظلمت حقها من قبل السلطة الحاكمة فهذا يعد من أول المظالم في سلسلة المظلومية التي سوف لا تتوقف بحق ابناء الامة الاسلامية ,وفي رد ابي بكر على مطالبة السيدة الزهراء بحقها قوله: " صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِي وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ" (الطبرسي,1966, 145/1) وهذا إقرار معرفي لا يترتب عليه التزام سياسي وهنا تظهر أول مفارقة حضارية من قبل الحاكم الاسلامي؛ وهي ان الاعتراف بالحق لا يعني الانصياع له ,وهي سمة من المؤسف شاعة في مراحل ما بعد التأسيس والذي هو اختبار حقيقي للإيمان الخالص وللنفوس الصالحة التي تلتزم المبدأ والعهد ولا تخالف ولا تنكث مهما كانت الظروف والضغوط إلا أن الامة فشلت في الاستجابة له استجابة تتناسب مع القيم التي آمنت بها وجاهدت من أجلها أكدت السيدة الزهراء إن أول مرتكزات النهوض بالأمه يتمثل بوعي الأمة بالانحراف الحاصل الذي عاشته بعد التأسيس للدين الإسلامي وفي أول مراحل البناء بعد وفاة النبي " صلى الله عليه وآله " وهو ما حدث من تبدل في المسار العقدي والقيمي وتشخيص للازمة بانها ازمة وعي و أزمة قيم ولا يمكن للأمة أن تنهض دون الاعتراف بوجود الخلل والانحراف عن المنهج الالهي الرباني وان المشكلة لم تكن في هرم السلطة الحاكمة السياسية فقط, او جهل بالأحكام الشرعية , بل كان انهيار واضح في منظومة القيم والوعي والمسؤولية الاجتماعية بقولها : " أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض" (الطبرسي, 1966, 1/ 141) أي أن الخلل في كوامن النفس قيميًا قبل أن يكون اداريًا واجتماعيًا, وقد شخصت السيدة نوع الازمة من خلال سكوت الأمة الإسلامية بكافة شرائحها عما تعرضت له بموجب قرار السلطة الحاكمة بمصادرة أرض فدك حقها بميراث أبيها النبي الخاتم " صلى الله عليه وسلم " والخذلان المجتمعي الذي تعرضت له المتمثل بمواقف النخب التي أيدت السلطة في مصادرة حقوقها الاقتصادية ظلمًا وعدوانا وجمهور المسلمين العام الذي تنصل عن مهامه ولم يتحمل مسؤوليته ازاء الانحراف السياسي الذي يتلاعب بنصوص المرجعية القرآنية ويركنها جانبًا ويقرر الامور والاحكام حسب مصالحه ومصالح النخبة التي اوصلته الى سدة الحكم " فكان رد أبو بَكْرٍ على مطالبتها بحقها ما نصه: " أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا

أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِي وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ " (الطبرسي, 1966, 1/ 145) وفي النص مؤشرًا خطير على ان الامة لم تسكت فقط على رؤية الظلم بل هي هنا اصبحت شريكة في الاثم والظلم والعدوان ومؤيدة وموافقة على قرارات السلطة بضرب العدالة التشريعية والحكم حسب مصالح السلطة العليا ,وموقفهم السلبي هذا عللته السيدة الزهراء بسيادة المنافقين على المشهد " ظهرت فيكم حسيكة النفاق" (الطبرسي, 1966, 137/1) وانحرف البعض الاخر نتيجة لما اقترفوه من اعمال سيئة سابقة والتي تراكمت واصبحت حجب على قلوبهم فلا يرون نور الحق بسببها " فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ عَلَيْها السَّلام وَقالَتْ: مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلَى الفِعْلِ القَبِيحِ الخاسِرِ , أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها, كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ وَ خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ " (الطبرسي, 1966, 145/1) لا بل إن الأزمة القيمية كانت ضاربة اعماقها في القاعدة الاجتماعية المهمة وهي القاعدة الحاملة للرسالة الإسلامية وشريعتها السماوية وهم " الأنصار " الذين تنصلوا هم ايضًا عن مهمتهم في حماية تطبيق تشريعات الإسلام ونصرة الزهراء وإنصافها حقها من قبل السلطة العليا " أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَع، ومُبْتَدأ وَمَجْمَع؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، ...وهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟ ألا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَداؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (الطبرسي , 1966, 1/,ص 141) وعللت السيدة الزهراء خذلانهم وسكوتهم ؛ بأنه خوفاً على فقدان مصالحهم التي وصلت بهم الى حالة الترف ان هم واجهوا السلطة واستنكروا عليها ما قامت به " أَلا قَدْ أَرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ " (الطبرسي, 1966, 141/1) أما التحدي الثاني الذي تعرضت له الأمة وهو اغتصاب الحكم والخلافة من الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام" زوج السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " وهو مرشح النبوة وتم ابعاده عن سدة الحكم والانقلاب على العهود والمواثيق التي أبرمت له على عهد رسول الله في يوم الغدير من قبل المسلمين بعد الرجوع من حجة الوداع , وأصبح على اثرها واليا على المسلمين بتنصيب من رسول الله " صلى الله عليه وآله " بقوله : " ألا من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله " (ابن حنبل, 2001, 271/2) فطالبت السيدة بإرجاع حق الخلافة وحكم المسلمين الى الإمام علي "عليه السلام " لكونه الحاكم الشرعي بتنصيب من رسول الله وهو الاكفأ لهذا المنصب الحساس بما يمتلكه من طاقة علمية وايمانية وفقهية وصبر ومجاهدة فهو سيف الله المسلول واليد اليمنى للرسول في مراحل التأسيس الاولى فهو الثابت الذي لم ينهزم والخامد لنيران الحرب ضد الإسلام بضرب فقاره فمن الأولى أن تكون له القيادة والإدارة في مرحلة البناء فهو القادر على رفع الأمة والارتقاء بها الى السمو والبناء والكمال القيمي والروحي والمادي والذي عانت الأمة الإسلامية على اثر هذا الخذلان للقيادة الشرعية من الضعف والتراجع حتى الوقت الحاضر, ومن أجل العودة بالأمة إلى قوتها وتقدمها لابد من وعي أبنائها بالانحراف الذي تعيشه الأمة وتشخيص أسبابه حتى تتمكن من إعادة البناء وفق المسار الصحيح وفق المنهج الرسالي الأصيل فلا نهضة بلا وعي فقد وعت السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" لهذا الانحراف وشخصت اسبابه منذ وقت مبكر وبدأت نهضتها الفكرية والحركية ضده بألقاء خطابها المناهض الذي كشفت فيه لحظه الانحراف التاريخي ونبهت الامة من مخاطره وعواقبه والذي عاشت الأمة بسببه الظلم والضعف والفرقة والوهن والتراجع الى يومنا هذا ,وقد عبرت السيدة الزهراء عن مواضع وعيها بالانحراف الظاهر في مسار الأمة بعد وفاة أبيها " صلى الله عليه وآله " من

خلال الجزء النقدي من مضامين خطابها " سلام الله عليها " الذي وجهته الى ابناء الامة الاسلامية بشكل التوبيخ والتقريع تارة وعلى شكل العتب والنقد تارة أخرى ومنه قولها : " فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلانِ؟ وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ؟ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ؟ " (الطبرسي, 1966, 141/1) وهذه الفقرة من الخطاب تمثل قمة الوعي بالأزمة الحاصلة لأنها تضمنت أربع مؤشرات حضارية بالغة الخطورة منها :

اولا : ان انحراف المسلمين جاء بعد وعيهم بضرورة ما انحرفوا عنه لقولها سلام الله عليها " فأنا حرتم بعد البيان " فمفردة " بعد البيان " تدلل وبشكل قاطع أن الانحراف لم يكن سببه الجهل ولا غياب النص الشرعي الذي بسبب التعدي عليه حدثت الأزمة بل أن الانحراف كان ارادي وعن وعي ولم يكن عفويًا أو عن جهل .

ثانيا: ازدواجية الخطاب والسلوك التطبيقي " أسررتم بعد الإعلان " وهو حالة الانفصام بين مضامين الخطاب القيمي المعلن عن السلوك التطبيقي اللاأخلاقي على أرض الواقع .

ثالثا: الهزيمة النفسية أمام المواجهة رغم القدرة والتمكين المادي "وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ" في التراجع لم يكن بسبب ضعف الإمكانيات المطلوبة بل بسبب انهيار ارادة الامة الجماعية .

رابعا : الانتكاسة القيمية "وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ" السيدة لا تقصد به الشرك العقائدي بل ما تقصده هو تشوه ترجمة التوحيد في السلوك الاجتماعي والسياسي حيث أشركوا المنافع السلطوية مع الحق وإشراك المصالح على حساب إحقاق العدالة فتصدعت صورة التوحيد القيمي, وتؤسس السيدة الزهراء في هذا المقطع من الخطاب لقاعدة مهمة في فهم التاريخ بأن الأمم لا تنهار عند فقدانها للنص الشرعي فقط بل ان سقوطها يأتي ايضًا بسبب تعطيل وعيها بأهمية النص الشرعي الذي تمتلكه وعطلت تفعيله وحجبته عن أداء مهمته الإصلاحية لذا فالانحراف في أمتنا بدأ بانقلاب الضمائر والافكار على القيم الشرعية الثابتة لصلابتها الدينية لأنها ارادت بديل قيمي تشكله على مقاساتها العقلية والشهوانية الضيقة وحينها بدأ الانقلاب السياسي والاجتماعي وبأفكار جديدة على وفق مقاسات مصالح ومنافع المنقلبين , وهو ما تنبه له مؤخرًا مالك بن نبي في تصوره للأزمة الحضارية وما يرتبط بها من عناصر مختلفة ومنها التنصل عن الأفكار والقيم الاسلامية الأصيلة بقوله : " إن الجانب الفكري هو الأساس في المشكلة التي نحن بصددها ان الافكار لا تتمتع في المجتمع الإسلامي بقيمة ثابتة تجعلنا ننظر إليها بصفتها اسمى المقومات الاجتماعية وقوة اساسية تنظم وتوجه قوة التاريخ كلها وتعصمها بذلك من محاولات الإحباط مهما كان نوعها وهذه الثغرة تعود في تكوينها الى شيء من التخلف وتطورنا الاجتماعي " (بن نبي, 1988,ص 82) وبذلك يتوافق مالك بن نبي مع ما نبهت اليه السيدة الزهراء من مآلات خطيرة للانتكاسة القيمية التي عاشتها الامة وستعيشها مستقبلًا واستمرت على اثرها تجر ويلات خيباتها على جميع الصعد حتى عصرنا الحاضر .

المرتكز الثاني: اعتماد منهج التوحيد الخالص

ان نهوض الامة من منظور وفكر السيدة فاطمة الزهراء لا يكون الا بالرجوع والتمسك بفكرة ومنهج التوحيد الخالص وهي من ثاني القوانين الشرطية التي اكدت عليها السيدة " سلام الله عليها " والتي اسمتها " الكلمة " بقولها: " وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها " (الطبرسي,1966, 134/1) والسؤال الذي يطرح هنا لماذا الالتزام بـ " قانون كلمه التوحيد " دون غيره من الكلمات او الافكار او العقائد الاخرى الكثيرة الموجودة مع الانسان وفي بيئته ؟للإجابة عن هذا التساؤل تضعنا السيدة امام جمله من الحقائق الكبرى التي لو اطلعنا عليها تجعل من التوحيد ضرورة وجودية لابد من الايمان به وتأسيس البناء والنهضة على اساس قيمه وقوانينه ومنها:-

الحقيقة الأولى : ان كلمة التوحيد هي القانون المركزي الذي قام على اساسه نظام خلق السموات والارض " وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها ... اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ " (الطبرسي,1966,

134/1) ولان الانسان جزء من هذه المنظومة الإلهية فهو مخلوق ايضا بنظام التوحيد فيجب ان لا يتعارض نظام حياته من افكاره ومشاعره مع النظام الذي فُطر عليه اولًا ولا مع النظام الذي تسير عليه السماوات والارض والذي هو جزء منه ثانيًا, ولأنه نظام وجد من اجل الانسان فهو يتناغم مع طبيعته الفطرية ومتطلباتها المادية والروحية قال تعالى:" وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الجاثية,اية 13) ولأن الإنسان وجد لتحقيق الغاية الإلهية الكبرى , فبنظام التوحيد فقط يتمكن الإنسان من تحقيقها ,وقانون التوحيد الخالص أي العبودية الحقة هي عزة لله والإنسان معًا , فالإنسان لا يجد عزته وكرامته إلا من خلال اعزازه لدعوة التوحيد الالهية والتمسك بشريعتها ومناهجها دون غيرها من الشرائع والملل.

الحقيقة الثانية : انه حسب نظام التوحيد فإن الإنسان خُلِقَ ليكون خليفة لله سبحانه وتعالى على الأرض ,وعليه تكون هذه الحقيقة بمعرفة الإنسان الغاية من خلقه وجوده بحد ذاتها عامل محفز للإنسان بالاستمرار بالحياة ومعزز لمكانته باعتباره خليفة الله الذي يحقق غايات الله الكبرى في هذا الوجود , أي أن وجوده ليس عبثيا بل مرتبط بغايات سامية وعظيمة , وهذا ما يمنح الإنسان الراحة والطمأنينة لأنه سيعرف من أين وجد ؟وما الغاية من وجوده ؟ وإلى أين ذاهب وما مصيره؟ وهذه التساؤلات الفلسفية الكبرى التي تلح في ذهن الإنسان تمت الاجابة عليها بقانون التوحيد الخالصة لذلك يجب على الانسان وبدون اي جدال أن يلتزم بهذا القانون وتطبيقه حتى يصل إلى سعادة الدارين وجنة الدنيا والآخرة ,إن ظاهرة التجديد المستمرة لتفعيل قانون التوحيد في الأرض عن طريق ارسال النبوات المستمرة ما هو إلا دليل على أن ما يصلح اول هذه الامة يصلح اخرها " فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ" (الطبرسي,1966, 1/ 134).

الحقيقة الثالثة : أن ما يحفز ويشجع الرجوع إلى الإسلام والالتفاف حوله وجعله فكرًا ومنهجًا تتبناه الشعوب الاسلامية من جديد لينقذها من وضعها المزري الذي تعيشه من أمة مغلوبة مستضعفة إلى أمه قوية ذات سيادة لا يملي عليها الآخرون ما يجب أن تفعله بل هي بفضل الإسلام وما يمتلكه من افكار وحلول وطاقات قادرة على ادارة وضعها الداخلي وعلاقاتها الخارجيه على افضل وجه وهو ما اشارت اليه السيدة بقولها: " فَأنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ" (الطبرسي,1966, 134/1) فهو مشروع متكامل يتضمن كل عناصر القوه وهو المنقذ الوحيد لحالة الامة فهو غير حال العرب قبل البعثة من حال الى حال افضل , من امة مغلوبة على امرها الى امة تهابها الامم الكبرى .

الحقيقة الرابعة: ان الامة اذا اهملت تفعيل قانون التوحيد وغيّبته عن إدارة نُظمها المجتمعية فإنها ستعيش الانتكاسة والتحديات ومن أبرز هذه التحديات الاستعمار من القوى الخارجية الذي يتطلب التحرر والخلاص ,والتخلف الذي يتطلب التقدم والنهوض والحركة الفاعلة المنتجة ,والتفرقة التي تتطلب الوحدة بجمع الصف ورص البنيان بالإضافة إلى ما يترتب على هذه التحديات أوضاع سلبية لا تعد ولا تحصى من الخوف والفقر والظلم والاستبداد والطغيان والحرمان والإذلال فيكونوا مطمع للدول الكبرى لضعفهم وتفرقهم " وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ .فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلَى الله عليه وآله " (الطبرسي,1966, 137/1) فالإسلام هو الحل لكل هذه التحديات والمشاكل والقادر على انتشال الامة من وضعها المزرى وبهذا تتوافق رؤية توينبي ورؤية ابن خلدون مع رؤية السيدة الزهراء اذ قال توينبي :" إذا ألقينا ببصرنا على الحضارات نجد أنه يكمن وراء كل منها نوع من العقيدة الدينية العالمية وعن طريقها تولدت الحضارة " (توينبي,1966, 152/3) وكذلك ابن خلدون حينما قال:" إن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين أما نبوءة او دعوه حقق" (ابن خلدون,2010, 124/1) فمهما بدت الأنظمة التي تتبناها المجتمعات غير النظام الإسلامي من التطور والتقنية والتكنولوجيا فاذا فقدت قيمها وآدابها الخلقية في التعامل والتعايش فأن الحياة فيها لا تطاق

فالإنسان يأنس في بيئة تحترم وجوده وكيانه فما فائدة التطور اذا لا يحترم الانسان وتحفظ قيمته وتعزز مكانته فلا يوجد نظام يحترم الانسان بقدر النظام الاسلامي اي كان هذا الإنسان صغيرا أو كبير فقيرا او غنيا يجب التعامل معه بالحسنى إلا انها تعاني التهميش القيمي وهذا مما يضعفها داخليا ويفكك بنيتها ويبقى انهيارها مسألة وقت لا اكثر ؛ كما حدث للمسلمين حينما تخلو عن قيمهم وضعف التزامهم بقوانين الالهية لشريعتهم نجد أن امرهم أصبح ضالا وقوتهم هباءًا فأستضعفتهم الأمم وأصبحوا محط لأقدام الدول الكبرى التي اعتدت عليهم واستعمرت ارضهم لضعفهم وتشتتهم ولسوء ادارة حكامهم ,الذين اوجدوا النفاق والشقاق والفرقة في جسد الامة الاسلامية الواحدة وفي سبيل بقائهم بالحكم والملك والسلطنة ضيعوا أمة كاملة, فالإسلام يمتلك من الطاقات المادية والمعنوية التي يمكن البناء عليها وإطلاق قوتها لو استخدمت استخدامًا مدروسًا ومنظمًا وفق إدارة قانون التوحيد .

المرتكز الثالث: القرآن الكريم اساس التشريع التنظيمي

ان من اهم مرتكزات البناء هو تحديد الأساس المعرفي والمنهجي لبناء الأمة ,فأكدت السيدة الزهراء في بداية خطابها الى ضرورة اعتماد القرآن الكريم اساسا تشريعيا لكونه العهد الإلهي المفروض على العباد ,وليس لهم الا السمع والطاعة فهو المرجعية العليا للنظم والقوانين التشريعية التي تحكم المجتمع الإسلامي بمنهج حضاري متكامل في النظم والإدارة بقولها: " أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إِلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إِلى الرِّضْوانِ اتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إِلى النَّجاةِ إِسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدُوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ . فَجَعَلَ اللهُ الإِيمانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبِيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدِّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمامَتَنا أَماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إِيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ أَطِيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ.وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلاَّ ارْثَ لَنا، {أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ "(الطبرسي, 1966, 135/1)

قدمت السيدة الزهراء القران الكريم بوصفه عهدا الهيا تنظيميا واخلاقيا وأشارت السيدة إلى ضرورة طاعته لكونه العهد الذي ألزم الله سبحانه به عباده ,وهو البقية النبوية لتنظيم أمر الامة ونظمها, وهو قانون تكليفي على الامة مستمر عبر التاريخ ,وفي قولها: " عهد قدمه اليكم وبقية استخلفها عليكم " دليلٌ بأنه ليس اتفاق بين طرفين ,بل هو عهد من جهة واحدة عليا إلهية واجب الالتزام به سيما وقد سبقتها بقولها سلام الله عليها: " أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ " ولم تقل يا أيها المؤمنون أو أيها المهاجرون والأنصار بل قالت: " أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه " فليس للعبد الا طاعة مولاه, وكذلك ما يدعوهم الى الالتزام به انهم المكلفون بتبليغه إلى الأمم من حولهم فهم الاولى بتطبيقه ومسؤولون عن حفظه وإيصاله إلى الأمم الأخرى, فهو الأمانة الالهية والبقية النبوية ,استخلفه الله على الامة واستخلف الأمة عليه ,وأن الأمة مسؤولة عن تنفيذ مضامينه والاحتكام إليه , فتنزيله لم يكن لمجرد الحفظ والتلاوة, بل هو تكليف تاريخي مستمر على الأمة لكونه المرجعية التشريعية الناطقة والصادقة, وهو محفز لمنظومة الإدراك والوعي بنور الهداية المعرفية وضياء الطاقة العلمية ويتميز بوضوح المنهج والقيم والمعايير وهذه رساله الهية مباشرة للأمه بأنه لا عذر لهم للانحراف عن تعاليم القران الكريم بحجة لشدة وضوحه " مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ قائِدٌ إِلى الرِّضْوانِ اتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إِلى النَّجاةِ إِسْماعُهُ " فان الالتزام به والامتثال المنهجي لتشريعاته ينجي الامة من المهالك والازمات كونه المنظومة الإلهية التشريعية المتكاملة المتضمنة الاسس القانونية والأخلاقية وبهذا الوصف المتمثل بالكمال والوضوح والمرونة التشريعية للقرآن الكريم أرادت السيدة الزهراء ان تقدم الى الامة

الإسلامية رسالة نصية مفادها؛ بأن الانحراف الذي وقع في الامة لم يكن بسبب غياب النص أو عدم فهمه او نقص في هدايته لعدم وضوحه بل؛ بسبب التعطيل المتعمد لنصوصه التشريعية ورفضها من قبل الأمة كمرجعية حاكمة عليهم جميعا , وارست السيدة بذلك مبدأ مهم وهو أن التشريع ليس نتاج عقل بشري متقلب بل هو صادر عن مرجعية إلهية عليا تضمن له الثبات والعدالة ووحدة المعايير والقيم, وشملت تشريعاته كل دوائر حياة الإنسان الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ,تشريعات انبثقت لتحقيق الاستخلاف الحقيقي والتكامل القيمي والحضاري ,فكان جزء منها تشريعات في بناء الإنسان المؤمن بما تضمنه من وقوانين التزكية والتهذيب و تشريعات البناء الاجتماعي والسياسي التي تثبيت العدل والقيادة المعصومة ووحدة الأمة وأمنها وعزتها, وقد وصفت السيدة الزهراء المرجعية القرآنية بكتاب الله الناطق ,والقرآن الصادق ,والنور الساطع ,وهي أوصاف لا تقتصر فقط على الجانب التعبدي ,بل تؤكد أن القرآن هو مصدر الحقيقة ومعيار الشرعية وأداه الهداية التاريخية وموجها لعمران البشرية ,وإن ترك الحكم به أو الجهل بأحكامه هو تعطيل لمنهج الحياة الآمنة المستقرة التي وصفتها السيدة الزهراء بالبؤس والخسران والتراجع وعودة حكم الجاهلية الأولى بقولها:" فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ " (الطبرسي,1966, 138/1) .

المرتكز الرابع: تفعيل طاعة قيادة الأئمة المعصومين "عليهم السلام" من قِبل الأمة

إن بناء أي أمة أو دولة تحتاج إلى قيادة تنظم المؤسسات والقرار فيها ,وتمنع تضارب السلطات وتضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم ,وتحافظ على امنها واستقرارها ,فاذا كان مرتكز العدالة ينسق قلوب ابناء الامة الاسلامية فأنه يحقق الوحدة الاجتماعية ظاهرًا إلا أن ذلك لا يمنع من " أن تظهر اختلافات فكرية او سلوكية حسب دائرة معرفة الأفراد القيمية فحينها يقع التناقض والأشكال ويهتز التنسيق والنظام الاجتماعي ,فيكون من الضروري " وجود مصدر لتقديم نظام قيمي واحد , والرجوع إليه عند وقوع الاختلافات ... ويجب ان يكون هناك جهاز تنفيذي واحد " (اليزدي,2020, 389/1) لهذا النظام وهذا مما لا خلاف فيه , والتساؤل المطروح هنا هو من الذي يمتلك مشروعية تحديد النظام القيمي الصحيح ويثبت أحكامه وقوانينه , ومن الذي يجب أن يتصدى لتنفيذ هذا النظام وقيادة المجتمع على أساسه ؟ فيحول الأمة من جماعة متفرقة ضعيفة إلى كيان منظم موحد وقوي وتضع السيدة شرطين مهمين لابد منهما لتحقيق ذلك ؛الأول أن تكون القيادة العليا وادارة مصالح الامة ونظامها الاسلامي للائمه المعصومين من أهل البيت "عليهم السلام" وهو ما ذهب اليه فقهاء الفكر الاسلامي فيما بعد ومنهم الماوردي في تحديد شروط تولي الامامة ومنها ان يكون قرشيًا لكنه لم يخصصه بأنه من اهل بيت النبي "عليهم السلام " (الماوردي, 1989,ص17) والشرط الثاني عند السيدة هو تفعيل طاعة هذه القيادة المعصومة من قبل الامة والسير بأمرهم وهديهم, لان تحقق هذين الشرطين يعطي نتيجة حضارية مبهرة امة منظمة وموحدة وقوية لا يمكن اختراقها من الداخل او الخارج, وهذا ما ترنو وتهدف اليه جميع الأنظمة الحاكمة في العالم على اختلاف توجهاتها وعلى مر العصور التاريخية والى الوقت الحاضر, وهنا طرحت الصديقة فاطمة "عليها السلام" ان حل الازمة بتطبيق الفرض الالهي على الامة الاسلامية وهو مسألة قيادة وإمامة العترة الطاهرة من الائمه المعصومين " عليهم السلام " وطاعتهم؛ حيث قالت : " فجعل الله ... طاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ " والملة هي : " اسم لجملة الشريعة , والدين اسم لما عليه كل واحد من اهلها " (ابو هلال العسكري,1412هـ ,ص509) وقال تعالى: " ملة أبيكم إبراهيم " (سورة الحج, اية 78) " أي: دينه , اما النظام لغة " الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ " (الجوهري,1987, 5/ 2041) و" ونظمت الامر فانتظم اي اقمته فاستقام وهو على نظام واحد اي على نهج واحد غير مختلف" (الطريحي, 1362ش,176/6) فعلى المعنى الاول يكون المراد بقولها عليها السلام: " وطاعتنا نظاماً للملة " تشبيه الملة، أي: الشريعة باللآلي المنتثرة التي تكون إطاعتهم " عليهم السلام" سبباً لتأليف هذه الدرر وجمعها على نظام قويم , وأما بالنسبة للمعنى الثاني يكون المراد بقولها عليها السلام : " نظاماً للملة " أن بإطاعتهم "عليهم السلام" يستقيم الدين ويستحكم ويقف وينهض ولولا طاعتهم لضعف واضمحل، وهو

عين ما ورد عن رسول الله "صلى الله عليه وآله " انه قال: " اني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" (ابن ابي عاصم, 1993,ص629) وهو وقاية للأمة من الضلال والضعف, وايضًا نستشف البعد الوقائي لإمامة الائمة المعصومين على الامة في بعض مضامين خطب احتجاج الصحابة على ابي بكر لأغتصابه حق الخلافة من الإمام علي "عليه السلام" ومنها قول عمار بن ياسر " يا معاشر قريش قد علمتم وإلا فأعلموا أن أهل بيت نبيكم أحق بهذا الامر منكم فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف مسلككم وتختلفون فيما بينكم, فقد علمتم أن بني هاشم اولى بهذا الامر منكم وأقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ... وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الامر من بعد نبيكم, فأعطوا ما جعله الله له ولا ترد على أدباركم فتنقلبوا خاسرين" (ابن طاووس, 1413هـ ,ص 341) فحسب فكر السيدة الزهراء فإن طاعة قيادة الائمة المعصومين "عليهم السلام" تشكل القانون والمرجعية الشرعية العليا التي تعد شرطا لبناء وانتظام أمر الأمة وأمانها سياسيًا واجتماعيًا. وظاهرًا ان توصية السيدة الزهراء في ضرورة القيادة المعصومة للامة من اهل البيت هو امتدادًا لوصايا المنهج النبوي بأنه الامة يحكمها أئمة اهل البيت "عليهم السلام" حتى اخر الزمان لقول رسول الله "صلى الله عليه واله": " الْمَهدِيُّ مِنَّا أَهلَ البَيْتِ، يُصلِحُهُ اللهُ في ليلَةٍ " (ابن حنبل, 2001, 2/ 72) فأن قيادة الإمام المهدي من اهل البيت "عليهم السلام " في اخر الزمان أمرًا حتمي ليصلح امر المسلمين بعد فساده ويقيم لهم دولة العدالة والكرامة. وهو طرح يجتمع عليه جميع المسلمين ومتفقين عليه ولا إختلاف فيه, مما يدلل على توافقه مع الطرح التأسيسي للسيدة الزهراء بأن الامة لن ينصلح وضعها إلا بقيادة وطاعة الأئمة المعصومين من اهل بيت النبي "صلى الله عليه واله".

غير أن التوافق هنا هو توافق في الأصل الحضاري لا في التطبيق الزمني التفصيلي، لأن خطاب السيدة الزهراء يطرح الإمامة بوصفها ضرورة مستمرة لحفظ نظام الأمة منذ اللحظة الأولى بعد وفاة النبي "صلى الله عليه واله"، أي أن وجود القيادة الشرعية المعصومة ليس مشروعًا مؤجَّلًا إلى آخر الزمان، بل شرطًا دائمًا لانتظام الملة ومنع الانقسام السياسي والعقدي للأمة . أما الإيمان بظهور الإمام المهدي "عجل الله فرجه" فيمثل في الوعي الإسلامي العام مرحلة الإصلاح النهائي الشامل بعد تراكم الانحرافات، أي أنه علاج تاريخي لفساد ممتد، لا يطرح كتأسيس أولي لبنية النظام السياسي للأمة الإسلامية . وعليه يمكن القول إن الرؤية الزهرائية تؤسس لنظرية " الإمامة الضامنة لسير الامة على المنهج الرسالي والكافلة لوحدتها عبر التاريخ "، في حين يعبر الاعتقاد بظهور الإمام المهدي "عجل الله فرجه" عند بقية عن ما نستطيع تسميته بالإصلاح الخاتم الذي يعيد للأمة توازنها الكامل في نهاية المسار التاريخي, وبهذا المعنى لا يوجد تعارض بين القولين، بل علاقة تكامل منهجي؛ فالإمامة في الخطاب الزهرائي تمثل القانون المستمر لحفظ نظام الملة ومنع فرقة الأُمة، بينما يمثّل ظهور الإمام المهدي التجلي النهائي لهذا القانون عندما يبلغ الانحراف مداه التاريخي, ومن ثم فإن الاستدلال بحديث الظهور الحتمي للإمام المهدي يؤكد من الناحية الحضارية أن القيادة المنتمية لأهل البيت "عليهم السلام" تُعد في الوعي الإسلامي المشترك عنصرًا لا بد من وجوده لإعادة انتظام الأمة واستقرارها، وهو ما ينسجم مع المبدأ الذي قررته السيدة الزهراء من أن طاعتهم نظام للملة وإمامتهم أمانًا من الفرقة، أي أن وحدة الأمة واستقرارها مرتبطان بمرجعية قيادية ربانية ذات مشروعية دينية وأخلاقية تتجاوز حدود السلطة السياسية المجردة. لذا فأن السيدة الزهراء حينما تطرح نموذج القائد المعصوم ليس من باب الشرعية السياسية وفيمن له الحق في الحكم, بل هي تطرح قيادة من له القدرة على منع الانحراف عن المنهج النبوي والرسالة الإسلامية في نظم أمر الأمة بعد انقطاع الوحي, وهذا فرق هائل وشاسع بين الحكم السياسي الذي هو ادارة للواقع وبين نظام الإمامة الذي هو ضبط اتجاه الحكم تاريخيًا وفق المنهج النبوي ووقايته من الانحراف, فالإمام المعصوم هو المرشح لقيادة الأمة والملة لأنه الأعلم والأعدل في تشريع القوانين القيمية الإسلامية والاقوى في تطبيقها " مَكْدُوداً في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً في أمْرِ اللهِ " (الطبرسي, 1966, 1/ 148- 149) فالإمام المعصوم يضع الإطار التشريعي الأعلى ويحدد المقاصد الأخلاقية والحدود القانونية و يشرع القواعد الكلية للمنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية والأمنية وغيرها من المؤسسات العاملة الأخرى, التي يجب أن تعم عدالتها على الجميع من المسلمين وغيرهم, لأن الملة لا تضم المسلم فقط بل تضم اليهودي والنصراني والصابئي وغيرهم من اصحاب المعتقدات السماوية و الوضعية, فيجب

ايجاد النظام الذي يضمن ادارة مصالحهم بـأمانة وعدالة, وهذا لا يتم إلا بطاعة نظام وحكم الإمام المعصوم وهو شبيه بسن قوانين الدولة الحديثة وتشريعاتها, لكن هناك فارق جوهري هو أن تشريعات الإمام المعصوم غير عنصرية ولا متطرفة لمعتقد على حساب آخر, ولا خاضعة للمصالح الشخصية او محددات نفعية, ولا للتوافقات السياسية , في حين ان سياسة غيرهم في الحكم انتجت حكومات ضعيفة على مر التاريخ الاسلامي والى يومنا هذا ,لكونها لم تستند الى قوة الإسلام وتشريعاته الصلبة, بل تسير خلف منفعتها ولا تنظر الى ابعد من أنفها ,وهذا ما شخصه محمد عابد الجابري في تشريحه للعقل السياسي العربي وتشخيص محدداته وتجلياته على مر التاريخ بقوله: " العقل السياسي في أية حضارة يرتبط ضرورة بالنظام أو النظم المعرفية التي تحكم عملية التفكير في هذه الحضارة ,ولكن ,فقط , بما هو "عقل " وليس بما هو "سياسي" وهو اذا ارتبط بها ,بوصفه كذلك ,اي بما هو سياسي . فانه لا يخضع لها, بل يحاول اخضاعها لما يريد تقريره : يمارس السياسة فيها .العقل السياسي إذن ليس بيانيًا فقط ولا عرفانيًا فقط ولا برهانيًا وحسب, إنه يوظف مقولات وآليات مختلف النظم المعرفية حسب الحاجة, السياسة تقوم على البرغماتية (= اعتبار المنفعة) " (الجابري,2000, 3/ 8) , فاذ نظرنا في تحول الحكم الى ملك عضوض في عهد بني امية وهو ما يسميه " الجابري " بـ " دولة السياسة في الإسلام ", الدولة التي ستكون النموذج الذي بقي سائدًا الى اليوم " فنجد ان معاوية ينطلق في ممارسة سياسة الدولة على اساس محددات ثلاثة وهي " القبيلة والغنيمة والعقيدة " وان فعل هذه المحددات بعد ان كان مباشرًا في الحكومات السابقة عدا حكومة الإمام علي بن ابي طالب " ألا أنها ستصبح مع ملك معاوية فعلًا يمارس بتوسط السياسة " اي ان حكومة معاوية والحكومات اللاحقة الى الوقت الحاضر تستدعي احد المحددات الثلاثة الانفة الذكر حسب منفعتها اللحظية (الجابري,2000, 3/ 233) وهو ما تسبب بالضعف العام الذي عانت منه الامة وادى الى تراجعها كثيرًا. بل نجد اكثر من ذلك عند "ابن خلدون" اذ برر للنظام السلطوي وصوله الى الحكم بقوه العصبية والغلبة القبلية وفرض هيمنته وتحقيق منافعه ومصالحه على حساب الشرع والقيم وحقوق المجتمع, مبررًا ابن خلدون قوله هذا بضعف الوازع الديني في المجتمع وتفوق العصبية والقبلية فيه, وبما نصه: "إنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيًا فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه, وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعًا وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف " (ابن خلدون,2010, 1/ 166) مسوغًا لحكم معاوية بن ابي سفيان ومن حكم على شاكلته من بعده, بل انه وصف حكم العصبية القبلية بكونه لطف الهي بعباده بقوله:" فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفا من الله بعباده" (ابن خلدون,2010, 1/ 168) .

أما في دولة الإمام المعصوم فأنه لا يحول هذه المحددات الثلاثة ولا مؤسسات الأمة إلى أدوات سلطوية, مهما كانت الظروف والتاريخ شاهد على حكومة الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام" بل يضبط أدائها الوظيفي ويمنع انحراف مسارها عن القيم فالقضاء مثلا في حكم المعصوم يحافظ عليه مستقلا غير متأثرًا بالقرب القبلي من الحاكم او بعده عنه ولا يستخدم أداة لتصفية الخصوم او التنكيل بهم , أما الاقتصاد فتكون ادارته بأمانه عالية لا كخزانة مالية ورخص استثمارية للحاكم واتباعه وقبيلته , والإدارة تبنى كوادرها على الكفاءة والامانة والاخلاق لا على الولاء الحزبي والسياسي والقبلي, وهنا يظهر الفارق الحضاري بين قيادة الإمام المعصوم الذي ينظم المؤسسات تنظيمًا يحميها من تمادي منفعة السلطة, بينما نجد تاريخيًا وحتى وقتنا الحاضر الكثير من الأنظمة الحاكمة التي تنظم المؤسسات لا لخدمة شعوبها بل لتخدم النظام والأحزاب الحاكمة ,ويؤسس الإمام المعصوم سلطة الرقابة والمساءلة لعمل مؤسسات الدولة عبر المحاسبة والامتثال للعدالة ابتداءًا من رأس الهرم الإداري حتى أصغر موظف في أي مؤسسة من مؤسسات النظام القائم, ويتمتع الامام بالقدرة على منع تضارب السلطات وتعدد الشرعية فالإمام المعصوم هو المرجعية الشرعية الوحيدة والعليا, وهو القرار الفصل, فلا قانون يعلو على الحق ولا مؤسسه يتصادم عملها مع الشريعة الإسلامية, ولا فقيه ولا والي يستخدم النص الشرعي لتبرير

سياسته الظالمة, وبذلك يمنع الإمام ظلم الرعية باسم القانون ,ويحول دون تسييس الفقه الاسلامي او احتكار النص الشرعي لصالح السلطة ومن يدور في فلكها ,ويبقى الإمام المعصوم حارسًا لروح القانون مانعًا للتلاعب بتطبيق الشريعة وحرفها عن مقاصدها العليا ,وبالتالي انهاء تعدد المرجعيات, وهو عين قولها "سلام الله عليها ": " وإمامتنا أمانا من الفرقة " أي أن إمامتهم مرجعية فاصله لا اختلاف عليها مفروضة من الله سبحانه وتعالى , فحين يختلف الناس لا يحتكمون إلى القوة بل الى مرجعيه متفق عليها سلفًا لأنه بدونها يصبح كل فرد مرجعًا ويرى نفسه محقًا ويميل لتبرير أفعاله دون مرجعية أعلى, فتتحول قناعته الشخصية إلى حق مطلق ,وعندما يفشل الفرد في فرض مرجعيته ينضم الى جماعة تتحول الجماعة الى حقيقة شرعية مرجعية مقدسة بديل عن المقدس الرسالي والقرآني, فتعم الفوضى وتنتج حقائق متوازية متصارعة ويظهر التعصب والتطرف والتخوين ونفي الآخر وهو الصراع على الوجود , علمًا ان الاختلاف في ذاته طبيعي وصحي وعلامة من علامات الحياة, لكن حينما يكون الاختلاف بلا مرجعية فاصلة عليا يحتكم إليه جميع الأطراف, يتحول الوضع حينها من اختلاف رأي إلى صراع على البقاء ,لأن كل طرف يرى نفسه الحق والآخر باطل فلا بد من انهاء وجوده ,لأن قبول الآخر تهديد لوجوده ,ومن هنا يتولد العنف والتطرف والتكفير الذي كان وما زال مشكلة المسلمين التاريخية ,التي راح ضحيتها الآلاف من المسلمين وغير المسلمين الأبرياء في مختلف الاقطار الاسلامية وأصقاع العالم المختلفة ,فالمجتمع بلا مرجعية عليا لا يعرف من هو على حق بل يعرف فقط من هو الاقوى ,والاقوى لا يبني امة ولا يحفظ المنهج الإسلامي ,ولا يقيم حضارة ,لأنه لا يحتكم الى قيم الإسلام ولا الى تشريعاته في هذا الجانب ,بل يسير وراء منفعته ,فهو بذلك يفرض سيطرة مؤقته ينهار كل شيء بأنهيارها وسقوطها , اما في مفهوم حكم أئمة أهل البيت "عليهم السلام" فنظام حكم الإمامة يعرف بوظيفتها لا بشكلها " وإمامتنا أمانا من الفرقة " أي أن الإمامة ليست غاية بل وسيلة لحماية نظام الأمة الإسلامية ,فالأئمة المعصومين حراس عقيدة وحفظة لمعنى القيم الإسلامية مبدأً وسلوكًا ,ويمنعون الاختلاف قبل وقوعه ,وهذا انتقال حضاري مهم في فهم نظرية الحكم من منطق السلطة الى منطق الحفظ والوقاية للمجتمع تفردت في عرضه السيدة الزهراء " سلام الله عليها " , لا نجده عند أي مدعي النهضة والاصلاح على مر التاريخ عدا الائمة المعصومين "عليهم السلام " وهذا الفرق بين السلطة الوقائية والسلطة القهرية , فالسلطة القهرية تُفرض بالقوة ,وتنتج طاعة بالخوف فتنهار بزوال هذين المقومين, ونتائجها استقرار شكلي وعنف متراكم وانفجار مؤجل, اما الإمامة المعصومة فغاية وجودها وعملها وهدفها هو حفظ النظام الاسلام وخلق الأمان وليس الوحدة فقط ,فالوحدة قد تتحقق بأي قوة قهرية وتكون مؤقتة ,اما الامان فهو شعور نفسي بالطمأنينة والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم فيولد شعور الانتماء والمسؤولية ,ونتائجها هو استقرار داخلي وبناء أمة حقيقية وبنظم اسلامية واستدامة حضارية , والسؤال الذي يطرح هنا ما الذي أمتلكه الائمة من مؤهلات حتى اكدت السيدة وبكل ثقة على أن تناط بهم حاكمية وامامة الامة دون غيرهم لهذه الوظيفة الجسيمة وهي تحقيق النظام وتأمين الوحدة والإجابة عن هذا التساؤل نجدها في ذكر السيدة الزهراء لجملة المؤهلات التي اتصف بها الإمام علي بن ابي طالب "عليه السلام" والتي ذكرتها في مقام استنكارها لما قامت به الأمة من إزاحة الامام المعصوم علي بن أبي طالب عن منصب خلافة رسول الله ليس لأنه زوجها ووالد ابنيها ,بل لما يمتلكه من مؤهلات كبيرة تخدم الرسالة والامة وتحقق الغاية الالهية, بتنظيم امر الامة ووحدتها وعزتها وسعادتها في الدارين ,فقالت :" وَيْحَهُم أنَّى زَحْزَحُوهَا عَن رَواسِي الرِّسَالَة ، وقَوَاعِد النبُوَّةِ ، ومَهْبِطَ الوَحْيِ الأمِينِ ، والطبين بِأمْرِ الدُّنيَا والدِّينِ " فأستنكرت على الامة ازاحته عن موقع حكمه لأنه من الأعمدة التي ثبتت امر الاسلام , وهو الثابت على القيم والمبادئ الرسالية ,ويمتلك المصادر المعرفية الدينية والشرعية ولديه القدرة والحاكمية على ادارة الحياة المادية والروحية معًا, وبشكل متوازن من خلال فرض المرجعية الواحدة وتقنين القيم الدينية على جميع نواحي الحياة ,وأعطت السيدة الزهراء "سلام الله عليها " صورة كاملة عن كيفية إدارة الامام ونتائج هذه الادارة على الأمة من خلال ما قدمته من برنامجه القيادي والذي عبرت عنه بقولها : " واللهِ لَو تَكافّوا عَن زمَامٍ نبْذَه رسول الله " صلى الله عليه وآله " إليهِ لاعْتَلَقَهُ ، ولسَارَ بِهِم سَيراً سُجُحاً ، لا يُكَلِّمُ خشاشُهُ ، ولا يُتَعْتِعُ رَاكِبُهُ ، ولأوْرَدَهُمْ مَنْهَلاً نَمِيراً ، صَافِياً رَوِيّاً ، فَضْفَاضاً ، تَطْفَحُ ضِفَّتَاهُ ، وَلا يَتَرَنَّقُ جَانِبَاهُ ولأصْدَرَهُم بطاناً ، ونَصَحَ لَهُمْ سِرّاً وَإعْلاناً ، ولم يكن يحلى من الغنى بطائل ، ولا يحظى من الدنيا بنائل ، غير ريّ

النَّاهِلِ ، وشبْعَةِ الكَافِلِ ، وَلَبَانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الرَّاغِبِ ، والصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ " (الطبرسي,1966, 149/1) وان نجاح هذا البرنامج وتحقيقه يتوقف على طاعه الامة لما يؤسسه الامام من نظام وايمانها به والدفاع عن وحينها سترى الامه النتائج المبهرة والتي من جملتها ما يأتي :

اولا: القيادة الصالحة أساس الاستقرار السياسي "لسار بهم سيرًا سُجُحًا، لا يُكَلِّمُ خشاشُه، ولا يُتَعْتِع راكبه " يرمز إلى حكم هادئ، منظم، بلا قمع ولا فوضى ولا اضطراب وحضاريا الاستقرار السياسي والاجتماعي هو الشرط الأول لبناء الامم وقيام الحضارات؛ فحيث يسود الأمن والطمأنينة، تتفرغ الأمة للبناء والعلم والعمران، ولا تنشغل بالصراعات والحروب التي تنهك قواها وتشتت طاقاتها .

ثانيا: القيادة الصالحة تحقق العدالة الاقتصادية التي تُنتج الوفرة " ولأوردهم منهلًا نميرًا، صافيًا رويًّا، فضفاضًا تطفح ضفتاه " بما تؤمنه من مورد دائمة وغنية لاعتمادها نظام اقتصادي سمته النزاهة لا فساد فيه ولا بخس ولا احتكار, وتوزيع عادل للثروات وتنشيط الإنتاج والاستثمار فيقضي على العوز والفقر والبطالة وهي من اكثر المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها اليوم اغلب مجتمعاتنا الإسلامية ان لم نقل جميعها. فالتنمية الاقتصادية لا تبدا فقط من الاموال والاسواق وانما من التزام القيم والاخلاق, وهذا ما يجعل كيان الامة في نمو دائم ومستمر يفضي بها الى العالمية, وهذا الفارق بين السياق الالهي وبين سياق ابن خلدون؛ القائل بالعمر المؤقت للأمم والدول "في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص" حيث تتراوح اعمارها بين المائة عام والثمانين والخمسين او الأربعين عامًا (ابن خلدون,2010, 1 /134), لكونه استند على حكَّم الواقع المنحرف عن النهج الرسالي والدين والشريعة فكانت نتائجه العمر القصير البائس نتيجة الموت التدريجي في كل شيء .

ثالثًا: ان القيادة الصالحة قادرة على بناء مجتمعً وأمة مكتفية ومتماسكة " ولأصدرهم بطانًا " والأمة المكتفية امة قوية لأنها أقل قابلية للفتن, وأكثر تعاونًا ,وتضامنًا وأقدر على الإبداع العلمي والثقافي, لأن البناء والنهضة في فكر أهل البيت لا تنشأ في المجتمعات الجائعة والمحرومة والمحكومة بالكراهية والتفرقة ,لذلك يعملون على إزالة كل هذه العوائق لتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء نهضة الأمة الإسلامية .

رابعًا: القيادة الصالحة تقوم ادارتها على الاخلاص والشفافية والتحرر من الفساد بكل انواعه " ونصح لهم سرًّا وإعلانًا , ولم يكن يحلى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل " وذلك بإخلاص النية لله تعالى واعتماد الشفافية والمكاشفة الدائمة مع الرعية في الحكم, الامر الذي يبني الثقة العامة بين الحاكم ورعيته وهي رأس مال حضاري لا يُقدّر بثمن، وبدونها تنهار الدول من الداخل وكذلك يضم النص نفي تام لاستغلال الحكم لجمع الثروة غير المشروعة , وحيادة قرارات الحاكم عن المصالح الشخصية وحينها ؛ ستُصان الموارد العامة , وتُوجَّه الثروات للبناء لا للترف والامتيازات السياسية , فتزدهر المؤسسات الخدمية بدل من الأشخاص والاحزاب الحاكمة ,وهذا هو سرّ المناهج الادارية العادلة الطويلة العمر .

والملفت في الأمر ما أشارت إليه السيدة الزهراء من التقييم الاجتماعي للحاكم الأعلى نتيجة ما تتلمسه الأمة وما تعيش به من خيرات وبركات نتائج ادارة القيادة المعصومة فهي منظومة فرز للنخبة الحاكمة الحقيقية في الادارة الرشيدة في يتسنى للأمة حينها معرفة من يحكمها زاهد في السلطة وصادقا في ادارته ملتزما بالقيم الاسلامية العليا , ومن هو المنافق والانتهازي الذي وصل إلى الحكم رغبة بالسلطة وامتيازاتها , في تنكشف حقيقتهم امام الملأ فيتم تجنبهم وابعادهم عن التلاعب بمقدرات الأمة وقطع اياديهم عنها .

وهذا كله يتم وفق تفعيل القانون السماوي التاريخي والحضاري الفاعل وهو قوله تعالى:" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " وهو ضبط الحكم وفق منظومة قيم التشريع الإسلامي فتظهر النتائج الحتمية ؛ على شكل بركات مادية ومعنوية , وبالتالي حركة بناء ونهضة حضارية .

المرتكز الخامس: القيم الأخلاقية لبناء النظم العامة

إن القيم التي أوصت بها السيدة الزهراء لبناء النظم العامة على أساس فلسفتها ومقاصدها هي نفسها القواعد والمبادئ التي أوصت بها الشريعة الإسلامية, فهي إلهية المصدر إنسانية المضمون والمحتوى ,وظفت في الخطاب من اجل اعادة بناء وضبط وتنظيم حياة المجتمع في مختلف أنساق علاقاته ضمن الدائرة الإلهية والمجتمعية والكونية ,بما يحقق الغاية من الوجود على أتم وجه, والسيدة "سلام الله عليها " لا تنظر الى القيم على أنها مجردة لا صله لها في واقع الإنسان والمجتمع بل هي ضرورة حياتية لا يمكن للإنسان ان يحقق وجوده بدونها , كما أن سعادته الدنيوية والاخروية منوطة بتمثيلها في سلوكياته ومعاملاته ,مما يدلل على مركزيتها في التجديد والنهوض وعلى محوريتها الرسالية , وهو ما أكده رسول الله بقوله: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (القضاعي,1986م,192/2) وهو ما استثمرته السيدة الزهراء في خطابها الحضاري في إطار تعزيز القيم الإسلامية في البناء والنهضة من البناء التربوي للأفراد الى تكوين المجتمع على أساس عقائدي صحيح ومنظومة قيمية لبناء النظم العامة التي تخدم مصالح المجتمع وتحافظ عليها, وهي كالاتي:-

1. المنظومة القيمية لبناء النسيج الاجتماعي

ان بناء الامه ونهضتها يتم ببناء الانسان اولًا , لان الامة لا تُبنى بالإمكانيات المادية فقط , لذلك بدأت السيدة الزهراء مسارًا مدروسًا في البناء, فبدأت بالفرد ثم بالمجتمع ثم بالنظم العامة للدولة, اي انها بدأت من قلب الفرد لتصل الى قلب الامة بانتزاع معتقدات الجاهلية من النفوس وغرس القيم الإسلامية, ضمن محورين مهمين هما؛ المحور العقائدي ,والمحور الاخلاقي, لخلق الباعث الذاتي القيمي لبناء الانسان الموحد واعداد الطاقة الداخلية وترجمتها سلوكيًا لعمل صالح على ارض الواقع , وهذه سنة الهية ثابته قال سبحانه: " إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ " (سوره الرعد , ايه 11) فالمؤمن المخلص هو طاقة التغيير التي يعول عليها في النهضة لان الانسان لا يستطيع ان يحمل الفكرة المركزية وينشرها الا اذا اقتنع بها وتمكنت مبادئها وقيمها منه نفسيًا وداخليًا ,فيتحرك على اساس ما يؤمن به ,فيغير واقعه وبيئته ,ولقد اوردت السيدة الزهراء جملة من الاحكام والفروض التربوية مع ذكر علة تشريعها لان ذكر اسباب التشريع يستفاد منه في " التقرير والأبلغية، فإن النفوس أبعثُ على قبول الأحكام المعلَّلة من غيرها " (السيوطي,١٩٨٨م ,282/1) اي إن النفوس تكون على استعدادًا لتقبّل الأحكام حين تُقدَّم مقرونة بأسبابها التشريعية ومسوّغاتها العقلية فاجملتها "سلام الله عليها" في النص الاتي: " فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، ...، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ ، ... وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ أَطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ" (الطبرسي, 1966, 1/ 135) فابتدأت السيدة بالأيمان والصلاة والزكاة والصيام لكونهم اولى دعائم التثبيت والتمكين النفسي للتوحيد, فالإيمان في نظر السيد الزهراء ليس مجرد اعتقاد بل هو عمليه تحرر من الشرك والاستعباد والخضوع لغير الله من الأهواء والنفس والتحرر شرط بناء الامة لأنها لا تبنى بالمستعبدين من قبل اهوائهم, لذلك جاءت العبادات التوحيدية وسيلة عملية لتنمية الذات الإنسانية ورقيها وتخليصها من متعلقات الاستعباد والخضوع, والصلاة تخلص الانسان من الكبر وتخلق في روح التواضع, فالمتكبر لا يرى سوى نفسه وتكون عنده الأنا المتضخمة فيكون غير قابل للتعلم ولا للتعاون وهذان شرطان اساسيان لبناء المجتمع الإسلامي, فالمتكبر عنصر غير فعال في بيئة العمران الحضاري ومهمة الخلافة الالهية, فدور الصلاة ثني المتكبر إلى التواضع في حضرة الحق, ويشده التواضع الى اخوته المؤمنين قال رسول الله " صلى الله عليه وآلة " : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا " (الترمذي, 1983, 3/ 218) بخلق الاندماج مع أبناء المجتمع الواحد وبالتالي يخلق قوة اجتماعية منسجمة قادرة على التصميم والبناء وهذا كله يحتاج الى الإرادة والإخلاص في العمل وهذا ما يفعله الصيام ؛ فالصيام يربي في النفس الإخلاص ويثبته في النفس لكونه يبني اراده قويه قادره على

مقاومة الشهوات والاغراءات والنهضة الاسلامية تحتاج الى ارادة قوية تساعد الإنسان على الثبات والإخلاص لمبادئه وقادرا على الصبر والعطاء , وتزكية النفس التي تقوم بها أداء فريضة الزكاة ,والزكاة " تزكية للنفس ونماء في الرزق" فهي تربية وتزكية للنفس وأحد عوامل بناء النسيج الاجتماعي , واما البناء الاجتماعي فقد افردت له السيدة في جزء من خطابها جمله من التشريعات القيمية والاخلاقية التي تخلق التماسك الاجتماعي وتبني وحدته وفي مقدمتها فريضة " الزكاة " التي تهدف الى التكافل الاجتماعي ووجه من وجوه العدالة الاقتصادية فعندما يفكر صاحب المال وصاحب الثروة بالأخرين فهذا يعني انه يحمل حس الشعور بالآخر وهذا من الرقي المجتمعي الذي يحرص الاسلام على تعزيزه في العلاقات الاجتماعية بين ابناء المجتمع المسلم بالإضافة الى العدل ,والعدل حسب منظور السيدة الزهراء هو ليس مجرد اداه تنظيمية او سياسية, بل هو واجب الهي ومبدأ ثابت من المبادئ الإسلامية حسب قولها " سلام الله عليها " :" العدل تنسيقًا للقلوب " ان افضل من عرف العدل هو الامام علي " عليه السلام " بقوله: " العدل يضع الامور مواضعها " (الشريف الرضي , 1412هـ , 4/ 103) وان تحققه وفق هذا المعيار يبني مجتمعًا منسجمًا ,اي ان مقياس تحققه هو ؛ مقدار الانسجام والتآلف بين ابناء المجتمع الواحد, لأن شعور المرء بالرضا بحقه او الرضا بإقامة العدالة هو ما يؤدي الى انسجام القلوب , وهو مبدا عقلاني لا تنكره اي مدرسة أخلاقية او انسان سليم وعاقل في العالم, على انه من الممكن ان يكون الشخص ظالمًا لكنه يؤمن قطعا ان العدالة مبدا قيمي, وجاء في الحديث النبوي: " الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم" (أبو حامد الغزالي, 1988 ,ص44) فالعدالة الاجتماعية تضمن الحقوق وتمنع التصادم الاجتماعي, والملفت ان السيدة الزهراء لم تفصل بين العقيدة الإسلامية والواقع الاجتماعي, بل ربطت النمو والنهوض الحضاري بالالتزام العقائدي مباشرة ,فالعدالة الاجتماعية في خطاب الزهراء "عليها السلام " ليست مطلبًا ثانويًا؛ بل شرط تناسق المجتمع وامنه فلا بناء بلا عدل، ولا استقرار بلا إنصاف، ولا إيمان صادق دون دفاع عن حقوق المستضعفين فحين يتم أغتيال العدل، تبدأ الامة بالتفكك وتفقد ثقتها بنفسها وبحكامها وبالتالي تنهار من الداخل، مهما بلغت قوتها أو امتدت حدودها ,فالظلم ليس هدما للتشريع الديني فحسب بل هو هدم للمجتمع بأكمله. وان وجوه العدالة استنادًا لخطاب السيدة الزهراء يمكن ان تتحقق في أربع دوائر كبرى مترابطة وهي : في العقيدة الإسلامية وهو ان يكون الحق والتوحيد هو المرجع الأعلى, وفي النظام السياسي والقيادة العليا حينما تكون شرعيتها اخلاقية لا نفعية ومصلحية ,وفي المجتمع حين تحكم سلوكه وعلاقاته القيم والمبادئ الاإسلامية ,وفي الاقتصاد حين يمنع الفساد وبخس الحقوق واغتصابها , وبهذا فإن خطابها " سلام الله عليها " لم يكن مجرد مطالبة بحقها بل هو مشروعًا نهضويًا لإعادة تأسيس العدالة الشاملة وفق التشريع القيمي الإسلامي بوصفها شرطًا لبناء ونهضة الأمة وبقائها واستدامتها , ومما يعزز قوة البناء الاجتماعي ويحفظه هو ادامة حقوق الوالدين فبرهما وقاية من السخط الإلهي والمجتمعي, وهو دلالة على اهتمام الإسلام باستقرار الأسرة, وأن التشريع ربط التقصير بحق هذا الكيان الاجتماعي المصغر بموجبات السخط الالهي والمجتمعي, وهذا يدلل على قداسة الوالدين اللذين هما أساس الأسرة والتي هي بدورها أساس المجتمعات كافة, فربط الله رضاه برضى الوالدين فالذي لا نفع فيه لأهله لا نفع فيه لربه ولا لمجتمعه, وأكدت السيدة كذلك على صلة الأرحام لكونها منماة للعدد أي أنه قوة الروابط الاجتماعية مع الأرحام تعطي زيادة في التعداد السكاني, وهذا من مؤشرات التنمية الاجتماعية التي تأتي عن طريق العمل الصالح المتمثل بصلة الرحم, والذي لم ينتبه له واضعوا النظريات الاجتماعية وخصوصا في العالم الإسلامي من " ابن خلدون " وغيره , وفرض الأمر بالمعروف مصلحة للعامة بما يوفره من رقابة أخلاقية جماعية تسهم في تعديل الانحراف إن وجد وتقويمه وتحافظ على صلاح المجتمع, فنلحظ أنها تشريعات يراد منها تحقيق مجتمع متراحم ومتكافل وقائم على المسؤولية الجماعية لا الفردية والانانية ,و للحفاظ على صحة المجتمع وادامته أوردت السيدة جملة من المحرمات لتشكل سياجًا اخلاقيًا ليحميه من الآفات الاجتماعية التي تؤدي به الى الضعف والتفكك والانهيار وهي؛ تحريم الخمر تنزيها للعقل عن الرجس وحفاظًا على طهارته ,واجتناب القذف وهو عدم التعدي على أعراض الأفراد حفاظًا على السمعة الاجتماعية وصيانة للكرامة الإنسانية, وترك السرقة بالاعتداء على الآخرين ايجابًا لعفة النفس وحفاظًا على الأمن والنظام العام, وهذه جملة محرمات سلوكية تؤكد السيدة على تجنبها والوقاية من آثارها السلبية حفظًا للفرد والمجتمع ,إن هذا المرتكز يأخذ من الأهمية في خطاب الزهراء لكونه يقوم على

قناعة مفادها أن أي مشروع نهضوي إصلاحي لا يمكن أن يبدأ من الخارج بل من الداخل يبدأ من الإنسان نفسه, فالإنسان في مشروع السيدة الزهراء هو القوة الداخلية الفاعلة للمشروع النهضوي فهو أصل الفعل الاجتماعي والسياسي لكل امة, , فإذا صلح الداخل صلح الخارج واستقام, وإذا فسد الداخل تتعطل كل محاولات الاصلاح والنهوض مهما بلغت من الدقة وحسن التنظيم, فيجب إعادة التشكيل الداخلي للإنسان من خلال منظومة التوحيد الفاعلة التي تعيد ضبط القلب والعقل والسلوك الفردي والمجتمعي, وتربط الدافع القلبي بالوعي العقلي وبالتالي إنتاج الفعل الحركي الذي يغير الواقع ويحقق البناء المتكامل .

2. التأسيس القيمي لبناء النظام الاقتصادي والقضائي والتعليمي

إن ضرورة بناء النظم العامة للدولة والمجتمع وفق المنظومة القيمية الإسلامية يتجلى بشكل واضح في مضامين الخطاب الفاطمي, كونه من الفروض التشريعية الواجب على الأمة قرآنيًا لنظم أمرها, حيث أن السيدة لا تقدم دستورا اجرائيا في كيفية العمل المفصل في هذه الأنظمة, بل تؤسس للمنظومة القيمية التي تقوم عليها هذه النظم فهي لم تضع قوانين اقتصادية أو لوائح قضائية بل قالت : "جعل الله ... طاعتنا نظام للمله " اي حددت المرجعية التي ستقام عليها هذه النظم فوضعت لها البوصلة اي المنهج الذي تسير عليه ورسمت لها الفلسفة القيمية التي تحكمها, وهو الإطار الفكري والأخلاقي الذي يحدد معنى عدالتها وطبيعة سلطتها وغايه تشريعها, والذي بدونه ستتحول قوانين هذه النظم الى ادوات شكليه قابلة للاستغلال السياسي والاستبداد السلطوي, فخطاب السيدة الزهراء لا يؤكد على سن القوانين التنظيمية فقط بل على المرجعية القيمية التي تنتجها وتصبغها بسمة العدالة والاستقرار " والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق ... وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ... ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ... وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ " (الطبرسي , 1966 ,1/ 134) فبناء المنظومة الاقتصادية حسب التوجيه الفاطمي تؤسس لأقتصاد اخلاقي تنموي في الانفاق المالي والعدالة الاقتصادية وضبط السوق بيعًا وشراءًا, ورفض الاحتكار منعًا للاستبداد الاقتصادي الذي يؤدي للفقر والتفاوت الطبقي ومنع الغش حفظًا للحقوق الاقتصادية .

وأما ما يخص المنظومة القضائية فاسست " سلام الله عليها " للقانون الجنائي, وحماية الحقوق المدنية للجميع وفق مبدأ سيادة القانون, وتنفيذ القصاص لمنع الثأر والفوضى وحماية الحقوق العامة ومنها ؛ الحقوق المعنوية لحماية السمعة الاجتماعية, والحقوق المادية بالحفاظ على الممتلكات الاقتصادية وعدم الاعتداء عليها .

وركزت السيدة على تأسيس المنظومة التربوية التعليمية بقولها : "إنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ" حيث ربطت السيدة الزهراء العلم بخشية الله سبحانه وتعالى وبذلك منحته اطارًا الهيا ليكون تحت الرقابة القيمية حتى لا تنحرف الابحاث والاكتشافات العلمية عن مسار المنفعة الانسانية وتحقيق الغاية العمرانية على الارض ضمن حدود الرقابة الإلهية , للنعم بوصفها موردا حضاريا وهذه النعم ليست نعما مادية فحسب تشمل نعمة الوجود وطاقته الكونية ونعمة العقل ونعمة الهداية ونعمة القدرة والنظام الكوني في الحضارة فهذه كلها مرتكزات نهضوية , في الحضارة لا تبنى بالثروات المادية وحدها بل بتمكين طاقة العقل والعلم وتحريرها من الخرافات والأوهام واحترام التفكير وتشجيع البحث العلمي, ودعم الأسس العلمية والاستفادة منها في مجال " الاستخلاف الإلهي على الارض" وهذه إشارة منها " سلام الله عليها " بأن الكون منظم وقابل للفهم والإدراك وصالح للاستثمار وهي دعوة للاستفادة العلمية والعملية من النعم الموجودة في الانسان والطبيعة وتسخيرها بالعلم والاستفادة منها وعدم استنزاف مواردها لتحقيق التوازن العادل إسهاما لتحقيق الغاية الأخلاقية التي أوجد الله سبحانه وتعالى لأجلها هذا الاستخلاف البشري على وجه الأرض وهو " تثبيتا لحكمته وتنبيها على طاعته وتعبدا لبريته واعزازا لدعوته " أي أن العمران البشري في النص مرتبط بالحكمة والطاعة فلا تقدم بلا اخلاق لأنه يفضي الى الاختلال والضعف فيجب مواءمة التقدم العلمي والتقني والأطر الأخلاقية والتشريعية للتوحيد .

المرتكز السادس : المقاومة الواعية والصمود الاستراتيجي

يتمثل هذا المرتكز في قولها " سلام الله عليها " : " وَالْجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ" (الطبرسي, 1966, 1 /135) إن اعتماد التوحيد كرؤية ومنهجا وغاية وما يتبعه من المرتكزات القيمية المؤسسة على قيمة التوحيد العليا كل ذلك يحتاج الى الجهاد والصبر حتى يثبت ويستمر ويتحقق النهوض على اساسه, فالمبادئ والقيم تحتاج الى جهادٍ وصبرٍ حتى تصبح جزء من كينونة الفرد الأخلاقية وسلوكياته اليومية , وهو ما يمكن تسميته بـ " المقاومة الواعية والصمود الاستراتيجي " حيث يحتاج المسلمين الى الطاقة والتخطيط ليتمكنوا من الثبات وحمل المهمة الملقاة على عاتقهم فالجهاد سلاح المؤمن الذي يشهره في وجه الإغراءات والشهوات حتى لا ينحرف عن مبادئه وقيمه, واما الصبر فهو طول النفس الذي يحتاجه المسلم كي يتمكن من الاستمرار على ما يؤمن به , والجهاد هو: بذل " ما في الوسع والطاقة " (ابن منظور, 1405هـ, 3/ 133) أي هو بذل الجهد والطاقة المطلوبة في سبيل تهذيب النفس وتحقيق المناعة الداخلية للإنسان المسلم التي تمكنه من الثبات والقوة والامتناع عن الخضوع وحفظ الكرامة التي تمنع استباحة الحدود القيمية والعزة هنا ليست في والنصر العسكري فقط ولا في السيطرة السياسية بل في الحالة النفسية التي تمنع الآخر من التجرؤ على مبادئك وعلى ما تعتز به وتؤمن به وان تحفظ ذلك لنفسك ايضا وتعاهد النفس دائما على الثبات في ذلك قالت السيدة "الجهاد عزا للإسلام "ولم تقل القتال وهذا من الدقة التعبير الخطابي للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث أن الجهاد مفهوم واسع يشمل جميع جوانب المرتبطة بالإنسان من جهاد الوعي وجهاد الكلمة والموقف والمبدأ وجهاد الصبر واخيرا جهاد القتال عند الضرورة ولو قالت "سلام الله عليها" القتال عزه للإسلام لكان القتال ضيقا ومحكوم بالظرف وهو الاعتداء من الاخر فيرد حينها بالجهاد العسكري لكنها قالت " الجهاد " وهي كلمة جامعة لان العز والمنعة لا تبنى بالسلاح وحده بل وبناء الانسان المؤمن المخلص المجاهد لنفسه ايضًا لذا سمى الجهاد العسكري بالأصغر وجهاد النفس بالجهاد الأكبر من قبل رسول الله " صلى الله عليه وآله " حينما بعث بسرية فلما رجعوا قال لهم : " قدمتم خير مقدم , وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : مجاهدة العبد هواه " (الخطيب البغدادي , 1997, 13 /498) والجهاد هنا يصنع التمكين النفسي للثبات على القيم والمبادئ الإسلامية وتطبيقها والدفاع عنها و تعزيزها في العلاقات الاجتماعية وكل مؤسسات الدولة قال تعالى " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " (سورة الحج ,اية 40) وقال سبحانه : "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ولكن اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ "(سورة البقرة , اية 251) لان الجهاد الحقيقي يكسر الخوف ويحرر الإرادة المخلصة ويمنح الثقة بالحق والعمل به الأمة المجاهدة بكل أشكال الجهاد لا تهزم نفسيا لأنها لا تتراجع من مواجهة الظلم ولا تصمت أمام الباطل ولا تسلم الساحة المنحرفين عن الإسلام حتى يعيثون بها افسادًا وظلمًا . وهذ كله بفضل ثبات النفس فمن لا يهزم نفسيا ؛يكتب له البقاء ولا يستباح حضارياً .فيجب أن يكون الجهاد من الضرورات اليومية المفعلة والمتواجدة في مجالات الحياة لذلك ذكرتها السيدة " سلام الله عليها " بين رأس الهرم وقاعدته أي بين السلطة الحاكمة وبين بناء القاعدة الاجتماعية وهي قاعدة الحياة في الجهاد وظيفة نظرية ضرورية لحفظ مكانة الدين في الحياة وليس هو رد فعل طارئ متمثل في القتال العسكري فقط او مجرد حاله استثنائية بل هو الآلية التي يحافظ بها الاسلام على وجوده وتمكينه النفسي والحضاري في الامه فتكتسب العزة والكرامة ,وهو ما نحتاجه في واقع الأمة اليوم فأمتنا الاسلامية تعاني اليوم من دين بلا جهاد وشعائر بلا موقف يسندها وإيمان بلا عزة النتيجة تبعية للآخر وانبهار بالغرب واستباحة من قبل القوات العظمى الغربية الحضاري لأن الأمة لم تفعل الجهاد كضرورة حياتية بل فهمته وكرد فعل ظرف طارئ وحصرته في المواجهة العسكرية فقط فتم استباحتها في القوة الناعمة داخل مجتمعاتها المدنية الغير محصنة بالإيمان والقيم الإسلامية فوقعت فريسة الحرب الناعمة وضعفت القيم وانهارت الاخلاق استباحة الاعراض وهتكت عزة الشعوب وكرامتها وهذا ما حذرت منه السيدة الزهراء المبكر بضرورة تفعيل قانون الجهاد النفسي ليكون جهاز مناعي يقوي النفس على الالتزام بقيمها ومبادئها لا قولا فقط بل فعلا وسلوكا ,والجهاد هو استراتيجية شاملة للتمكين الأخلاقي والسياسي والحضاري للأمة، تهدف إلى حماية قيمها وهويتها، وضمان استقلالها وقدرتها على التأثير الإيجابي وعدم تأثرها سلبا، فالجهاد من منظور علم الاجتماع السياسي هو الآلية الإسلامية لبناء

قدرات المؤسسة والمجتمع لمواجهة الانحرافات والضغوط داخليا وخارجيًا قال رسول الله " صلى الله عليه وآلة " : "أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد " (الطبرسي, 1965,ص 433) , وقال الإمام الكاظم " عليه السلام " : "جاهد نفسك لتردها عن هواها ، فإنه واجب عليك كجهاد عدوك "(ابن شعبة الحراني,1404 هـ, ص 399) واما الجهاد الفكري والعلمي وهو من الضرورات لضمان الاستمرارية للمشروع الحضاري الإسلامي في الأمة عن طريق ترسيخ قيمه ومبادئه في كل المجالات قال الإمام علي " عليه السلام " : " جهاد النفس بالعلم عنوان العقل " (الواسطي , د.ت , ص 23السابع:ما الجهاد من منظور الأخلاق وتطبيقها فيتم من خلال تفعيل القيم الأخلاقية الإسلامية في السلوك اليومي السياسي والاجتماعي وقال رسول الله " صلى الله عليه وآلة " : " جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة " (المالكي الاشتري, 1368 ش , 12 /441),وأما على المستوى الاقتصادي تحقيق العدالة الاقتصادية وحماية الموارد من الفساد والاستغلال ,وباختصار الجهاد هو ؛ أداة التمكين القيمي والاستقلال الحضاري، والعزّة هي نتيجة الجهاد بخلق قوة داخلية وفرض هيبة الامة الاسلامية أمام القوى الخارجية فالعزة هي المكافأة الالهية والحضارية والتاريخية للامة التي تحافظ على قيمها وهويتها اما الصبر فقيمة لابد منها في أن كل بناء تربوي وقيام نهضوي يتم ببذل الجهد و وتحمل المشقة وإطالة النفس في سبيل تحقيقه أو الثبات عليه وهنا تتجلى قيمة الصبر ومعناه وفائدته في خلق القدرة النفسية والأخلاقية على الاستمرار في الالتزام بالمبادئ والقيم والأهداف طويلة المدى في التحقيق , ويحول الصبر دون الانحراف فالصبر ضبط للنفس واداره واعيه للتحديات ولا تقوم نهضة أمة دون إنسان قادر على ضبط انفعاله وتحمل المشاق والاحباط و مقاومة الاغراءات الكثيرة , ويجب أن يفعل الصبر ليس عن مستوى الفردي فقط بل على مستوى الانضباط الجمعي لسلوكيات وتعاملات الأمة ويظهر في احترام القانون وتعاليم المؤسسات والثبات أمام محاولات الإحباط والتفتيت المجتمعي فالبناء والنهضة تحتاج إلى صبر في مساراتها فالنهضة لا تتحقق بالقفز على المراحل ولا بالحلول السريعة بل بتراكم منظم للجهد عبر الزمن بالصبر على السلوكيات القيمية والتزامها في التعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتعزيزها في كل جوانب الحياة والصبر هو الطاقة النفسية التي تساعد على الالتزام برسالة التجديد الإسلامي وبث روحها في كل مفاصل الأمة وتحقيق أهدافها من دون التخلي عن قيمها عند أول اختبار والاستمرار في الالتزام بمبادئها رغم العثرات والاغراءات فيمنع الصبر الانقلاب القيمي ويحد من العنف السياسي ويقوي الشرعية الأخلاقية على مستوى النظم السياسية والاجتماعية الصبر في فكر ورؤية السيدة الزهراء وليس انتظارا سلبيا بل هو التحمل الواعي والمستمر للضغوط والإغراءات والتحديات مع الاستمرار في الالتزام القيمي لتحقيق الأهداف المرجوة الصبر على المستوى الفردي يؤدي الى ثبات السلوكيات الأخلاقية في المجتمع و عندما يتحلى القادر والمجتمع بالصبر يزداد تماسك النظام القيمي ويستقر الأداء السياسي والاجتماعي ويستمر عطاؤها الحيوي دون انقطاع , بل هو ثباتا على موقف الحق مع الاستمرار بالعمل به والدفاع عن حتى استجاب الاجر ,الجهاد له مفهوم واسع في الإسلام والقرآن الكريم حيث انه ما خوذ من الجهد وهو الوسع والطاقة فيكون الجهاد هو بذل الوسع في المدافعة والمغالبة من أجل الله وبذل الطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه فكل ما يتحمله الإنسان من عناء وتعب في هذا المسار لابد أن تواجهه ولا يقتصر على الوعظ الاخلاقي فقط بل ضبط للنفس وضع قاعدة نفسية عمليه اللي فهم دور الصبر في مسار الصمود والجهاد والتمكين النفسي للأمة فالصبر ليس وضع تحمل او انتظار سلبي بل هو ثبات واعي على القيم وضبط للنفس في الاستمرارية على موقفها بغض النظر عن التكاليف وإنما النظر الى النتائج البعيدة المدى , والصبر اداه مساعده فهو ليس غاية بحد ذاته بل هو وسيلة لتحقيق الأهداف النبيلة فمن أجل تحقيق العدالة يجب الصبر على نتائج الحق وتجنب الباطل مهما كانت نتائجه سريعة ومضمونه لا نه كما جاء في الاثر العلوي " الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء " (الشريف الرضي ,1412هـ ,90/4) ويمكن تسميت الصبر بـ " الصمود الاستراتيجي " للأفراد والأمة من اجل الوصول الى الغايات النبيلة وتحقيق الاهداف السامية بالصبر على القيم الإسلامية " ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه، من الباطل وإن جر اليه فائدة وزاده" (الشريف الرضي,1412هـ , 2/ 6) الصبر هو الاستمرارية على الالتزام القيمي في السلوك الاجتماعي والعمل المؤسساتي, فنجد السيدة الزهراء رجحت القيم عند التعارض واتخاذ القرار الأصعب أخلاقيًا,

فقدّمت الحق والواجب على السلامة والمصلحة الشخصية, لأنها وجدت تكليفها الشرعي تجاه دينها ومجتمعها ,وهذا من المواقف التي تتطلب الصبر على الحق, فصبرت وثبتت على موقفها وطالبت بالحق واستنكرت الظلم وواجهت اسبابه أيًا كان مصدرها حتى لو كانت السلطة العليا فما دامت تخالف الفطرة والمنظومة القيمية والنظام الإسلامي فيجب مواجهتها وثنيها عن الانحراف, والصبر يمنع الانكسار النفسي وهو حراسة للتمكين الداخلي فهو يحمي الإرادة من الانهيار وهو صمام الأمان لثبات المنظومة القيمية في نفس الأمة, والجهاد من اجل الحق وتطبيقه فأن المواجهة تطول والنتائج ليست فورية فمن لا يملك صبرًا لا يستحق أجرًا لأنه سينسحب لثقل الموقف, ومن ينسحب يعطل قانون التدافع الالهي لتحقيق العدالة, ومن يعطل التدافع يستسلم للباطل والفساد, ولهذا كان الصبر هو المعونة على الاستمرار في تمكين الحق حتى تحقيق العاقبة المحمودة, لذلك وصفت السيدة الصبر " معونة على استيجاب الأجر " ولم تقل سببًا لتحصيل الأجر, لأن الأجر لا يصنعه الصبر وحده بل ان الصبر يعين العمل الصالح على بلوغ غايته وهدفه, فكل عمل صالح يحتاج الى الصبر وحينها يستوفي العاملون بالحق أجرهم ويرون عاقبة أعمالهم الصحيحة, فعملية بناء الأمة على القيم الإسلامية تحتاج منا الصبر حتى يتحقق التمكين النفسي المطلوب لهذه القيم في النفوس وحينها تنعكس في سلوكيات ومعاملات أبناء المجتمع الواحد, فكان موقف السيدة الزهراء بوجه الانحراف هو التطبيق العملي لمعنى الصبر فقد صبرت على ظلم السلطة العليا والعزلة الاجتماعية والخذلان من الأنصار, لكنها لم تنهار او تتنازل بل صبرت بأيمان فكان صبرها صبر موقف لا صبر خضوع وذلة, فضل جهادها وصبرها درسًا تتعلم منه الأمة معنى الثبات والاستمرارية في الدفاع عن القضايا العادلة للدين والأمة الإسلامية .

المرتكز السابع : الرقابة الاجتماعية

يُعدّ مبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " أحد الركائز الأخلاقية والاجتماعية المهمة في الفكر الإسلامي، وقد عرفته السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " بوصفه آلية لحماية المصلحة العامة وإدامة التوازن المجتمعي، حيث عدته فرض واجب تعبدي عملي يؤدي وظيفة اصلاحية وقائية تعيد تنظيم المجتمع من خلال الوقوف بوجه الانحرافات السلوكية ورفض الظلم الاجتماعي واستنكاره، وتعزيز الالتزام بالقيم الاسلامية المشتركة التي تحفظ كرامة الإنسان واستقرار المجتمع , ودعت السيدة الزهراء في خطابها بشكل واضح المجتمع لجميع افراده الى تحمل مسؤولياته الواقعية بقولها : " أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه " دعوة واضحة إلى تحمل المسؤولية ورفضها لثقافة الانسحاب والتبرير غير الإيجابي ,فوقفت " سلام الله عليها " فأستنكرت على الحاكم الأعلى عندما انحرف القرار السياسي عن مسار التشريع الالهي بقولها : " أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم " (الطبرسي , 1966, 1/ 139) فهي اوقفت الحاكم على خطأه ولم تهادن او تتهاون , والمعروف يمثل منظومة القيم العادلة المتوافق عليها عقلًا وأخلاقًا، بينما يشير المنكر إلى كل ما يهدد العدالة أو يقوّض النظام الأخلاقي العام و " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مسؤولية تشاركية تقع على عاتق ابناء المجتمع على ان لا يقفوا موقف المتفرج والشاهد الصامت تجاه الخطأ أو الفساد، بل يجب ان يمارسوا دورهم الناقد والإصلاحي ضمن ألاطر المقبولة من الحكمة واحترام القيم والقانون, وحفظًا للكرامة الإنسانية وحرصًا على مصالح الامة والنظام العام, فقد وجهت خطابها الى الأنصار ليتحملوا مسؤوليتهم الملقاة عليهم من الله ورسوله بقولها : "فمن يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ أيْهاً بَني قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّخبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ" (الطبرسي,1966, 141/1) وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله" (الكليني, د.ت, 59/5) وما خطاب السيدة الزهراء هذا الا امتثالا لهذا الفرض الإلهي فخرجت " للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " بعد ان رأت الانحراف في امة ابيها تاركين الاحتكام إلى القرآن الكريم والامتثال الى الاعراف القبلية والأحكام الجاهلية, وهي مؤشر

خطير في انزلاق المنظومة القيمية نحو الانهيار, والذي يتطلب الواجب الوقوف بوجهه والتحذير من عواقبه التي تتسم بالبؤس والخسران, خُسران العدالة والأمان والعزة والكرامة ورضا الله سبحانه وتعالى, فإن سخطه باب لفتح الابتلاءات على الامة الذي لم يغلق منذ لحظة إلقاء هذا الخطاب والى يومنا هذا, ومن منظور معاصر، يمكن فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه مسؤولية اجتماعية تشاركية تُسهم في بناء مجتمع مدني فاعل، لمنع انحراف رأس الهرم الحاكم والمجتمع والاقتصاد وهو ما يسمى اليوم بـ" المساءلة المجتمعية " حيث لا يقف الأفراد موقف المتفرج تجاه الخطأ أو الفساد، بل يمارسون دورًا نقديًا إصلاحيًا ضمن أطر الحكمة واحترام القانون والكرامة الإنسانية, الأمر الذي يسهم في تقويض الخطأ والانحراف وعدم تكراره, الجهد والوسع والطاقة الجهاد له مفهوم واسع في الإسلام والقرآن الكريم حيث أنه مأخوذ من الجهد وهو الوسع والطاقة فيكون الجهاد هو بذل " الوسع في المدافعة والمغالبة من أجل الله وبذل الطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه فكل ما يتحمله الانسان من عناء وتعب وكل ما يقدمه من عطاء وفداء في سبيل الله يكون جهادا سواء كان ذلك نفسيا او بدنيا وسواء كان في الحديث او التأليف او المال او طلب العلم والمعرفة النافعة أو في اصلاح ذات البين او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلا عن بذل النفس والقتال في سبيل الله " (الحكيم, 1425هـ ,2/ 434) وتؤكد الزهراء "عليها السلام " من خلال هذا الطرح أن غياب هذا المبدأ يؤدي إلى تفكك المعايير وهيمنة المصالح الخاصة على حساب الصالح العام، مما يفضي إلى اختلال العدالة وانتشار الفساد, وعليه فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس تدخلًا في الحريات الفردية، بل هو ضمان أخلاقي جماعي يهدف إلى حماية المجتمع من الانهيار القيمي, وقد جاء عن الإمام علي " عليه السلام " قوله : " اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلًا " (ابن عساكر, 1415, 501/42) السيدة الزهراء ترى أن الانحراف ليس وليد السلطة الحاكمة وحدها بل هو نتيجة الحالة السلبية التي يعيشها المجتمع في تخليه عن دوره الرسالي الذي خُلِقَ لأجله, إما خوفًا على مصيره من مواجهة الظالم, او حرصًا على منفعة مادية او معنوية, والإنسان هو محور النهوض أو التراجع فكيف ما تكون كينونته تكون نتيجة المجتمع, فلا يمكن بناء مجتمع متقدم بجماهير منسحبة وخاملة, فالإنسان المسؤول هو احد الركائز الاساسية للبناء والعمران الإسلامي, فهو ليس متلقي او تابع بل هو فاعل حضاري يمتلك وعي ويعرف حقوقه وواجباته مدرك لأهمية وجوده وغايته وأثره الفاعل على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي, فهو عنصر محوري ومسؤول عن مصيره الذاتي ومصير مجتمعه, وأن الأمم والحضارات هي ليست نتاج السلطة الخارجية بل هي نتاج وعي أبنائها ومشاركتهم الأخلاقية, فالإنسان المسؤول اخلاقيا يعرف الفرق بين الحق والباطل والعدل والظلم ويعمل وفق الضوابط الأخلاقية المستمدة من مرجعيته الدينية مما يجعل المجتمع منضبطا و منسجما في مساره الحضاري لأن الإنسان ذو المسؤولية محرك للنهوض بوعي جماعي فهو الذي يبادر بالإصلاح قبل وقوع الكارثة ويحمي المجتمع من الانحرافات الفكرية والسياسية وتقويمها واعادتها وفق المسار الصحيح أي أن استقرار بناء الامة وتطورها واستمرارها فاعلة ومؤثرة بمحيطها هو أمر مشروط بوعي الأفراد وتحميلهم مسؤولياتهم المنوطة بهم أمام الله والمجتمع وعدم التنصل منها لأي سبب كان وتحت أي ظرف, فبالمسؤولية الفردية والجماعية ترتفع روح المبادرة والثقة الداخلية, فهي اداة اصلاح اجتماعية ووقائية تحافظ على مسارات البناء بصورة صحيحة وتقوي البنية الداخلية للأمة وتعزز إيمانها بمهمتها الرسالية وقيمها الإسلامية .

الخاتمة

لقد جسّدت السيدة فاطمة الزهراء في الوعي الإسلامي نموذج الإنسان الكامل في الإيمان والعمل، فهي رمز للطهارة والصبر والعدل، وقدوة في السلوك والقيادة الأخلاقية قد تجاوز تأثيرها الزمان والمكان، لتبقى صوت الضمير الإسلامي الحيّ، ومثالًا خالدًا للمرأة التي جمعت بين الرمز الإلهي والدور الإنساني العملي, وخلص هذا البحث إلى أن النهضة الحضارية للأمة الإسلامية لا يمكن اختزالها في التقدم المادي أو الإصلاحات الجزئية، بل بأعتماد قانون التوحيد الالهي رؤية ومنهج وغاية فهو مشروع شامل يقوم في جوهره على إعادة بناء المنظومة القيمية والوعي الاجتماعي. ومن خلال تحليل خطاب السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " ولا سيما في خطبة فدك، تبيّن أن هذا الخطاب يمثل مرجعية فكرية

وحضارية متكاملة، تقدم تصورًا مبكرًا وعميقًا لمرتكزات النهضة المستدامة ,وقد أظهر البحث أن منظور الزهراء "عليها السلام" للنهضة يرتكز على جملة من الأسس المحورية، في مقدمتها مركزية القيم الأخلاقية، والعدالة بوصفها شرطًا حضاريًا لا غنى عنه، والمسؤولية الاجتماعية باعتبارها آلية لإحياء الضمير القيمي، فضلًا عن الوعي الجمعي ودوره في ضبط المسار الاجتماعي والسياسي. كما كشف البحث أن خطاب الزهراء "عليها السلام" لا ينفصل عن الواقع، بل يعالج اختلالاته البنيوية من خلال ربط الشرعية بالحق، والتشريع بالمصلحة العامة، والقيم بالممارسة العملية, وفي ضوء التحديات الحضارية المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية، تبيّن أن كثيرًا من مظاهر التعثر الراهن تعود إلى غياب التفعيل العملي لهذه المرتكزات، وإلى الفصل بين القيم والنظم الاجتماعية والسياسية, واكدت السيدة الزهراء ان الضامن لتطبيق كل ذلك هو بالسير على طاعة قيادة الائمة المعصومين وجعلهم المرجعية العليا للأمة لكونهم يمتلكون الثبات وجميع الامكانيات لأحقاق الحق وإبطال الباطل أي كان مصدره أو غايته, وإن الرؤية الزهرائية في مجال الحكم تؤسس لمبدأ حضاري دائم مفاده أن الإمامة الشرعية تمثل القانون المستمر لحفظ نظام الأمة وقوتها ومنع تفرقها منذ اللحظة الأولى بعد النبي، بوصفها مرجعية دينية وأخلاقية ضامنة لوحدة المجتمع الإسلامي كما وأن الإيمان بظهور الإمام المهدي من أهل البيت "عليهم السام" يعبر عن الإصلاح الخاتم الذي يجسد في نهايات التاريخ هذا المبدأ نفسه، الامر الذي يؤكد صواب طرح السيدة الزهراء بأن تكون القيادة من الائمة المعصومين "عليهم السلام " لكونهم الضامنين لحفظ صلاح الامة في بداية تأسيس امرها وفي خاتمته ايضًا بما يؤكد تكاملًا منهجيًا بين الإمامة المستمرة والإصلاح النهائي في تحقيق انتظام امر الأمة واستقرارها الحضاري.ومن هنا أكد البحث أن إعادة قراءة خطاب السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام " قراءة حضارية مقاصدية تتيح إمكانات حقيقية لبناء مشروع نهضوي معاصر، يجمع بين الأصالة والتجديد، ويتجاوز القراءات التاريخية أو الوعظية المحدودة, وأكد البحث أن النهضة الحضارية للأمة الإسلامية تبدأ من إحياء الإنسان وضميره القيمي قبل إحياء المؤسسات، وأن خطابها "سلام الله عليها" دعوة دائمة إلى ضرورة تفعيل الوعي الإيماني المستمر، والعدل والمسؤولية، وبناء نهضة الأمة على ألاسس القيمية الإسلامية .

وايضًا افرزت دراسة البحث جملة من الفوارق الفكرية والمنهجية بين رؤية السيدة الزهراء وبين رؤى ونظريات بعض المهتمين والباحثين في البناء الحضاري للأمة وبيان اسباب قوتها وضعفها والذي يمكن تحديده من حيث المنطلق المعرفي خطاب السيدة فاطمة الزهراء ينطلق من موقع الشاهد المؤسس داخل لحظة التأسيس الأولى، فيقدّم تشخيصًا مباشرًا لانحراف المسار الحضاري وبهذا يُسجل قدم السبق للسيدة الزهراء في هذا المجال، بينما تنطلق الدراسات الحضارية اللاحقة من موقع الباحث الاستقرائي الذي يحلل التجربة بعد اكتمالها وتراكم نتائجها التاريخية, وهو ما كان واضحًا في تجربة ابن خلدون ومالك بن نبي ومحمد عابد الجابري. وكذلك من حيث العلاقة بالسلطة واثرها على نهضة الامة الحضارية ترى الزهراء أن شرعية القيادة هي المحور الحاسم في سلامة المسار الحضاري ونهوض الامة، لأن انحرافها يؤدي إلى انحراف الحضارة كلها، بينما تتعامل الدراسات اللاحقة مع السلطة بوصفها مكوّنًا ضمن منظومة حضارية أوسع لا أصل الخلل الوحيد فيها, بل ان هناك من برر لافرازات الواقع السلطوية لضرورات ظرفية ذات فائدة محدودة على الامة سلبياتها اكثر من ايجابياتها, وايضًا ضَعَفَ طرح السيدة الزهراء الطرح الخلدوني في نظريته التي تقول بالحتمية التاريخية على ضعف الدولة لكونه حصر مدة قوتها بمائة عامٍ او اقل وان الضعف لابد ان يستولي عليها ويحكم عليها بالزوال في حين ان الرؤية الفاطمية ترفض هذه الحتمية التاريخية المقيته التي تنتقص من امكانيات الاسلام وطاقاته الهائلة, وتؤكد السيدة أن التراجع الحضاري هو نتيجة لخيارات بشرية يمكن تصحيحها, وإن الدروس المستفادة من هذا البحث تؤكد أن بقاء الحضارات مرتبطة بوعي ابنائها وبضرورة التغيير وبقدرتها على الحفاظ على القيم والعدالة، وهو ما يجعل خطاب السيدة فاطمة صالحًا لأن يكون إطارًا إصلاحيًا معاصرًا لمواجهة أزمات العالم الإسلامي المعاصرة .

التوصيات

يمكن تلخيص أهم التوصيات نتيجة لهذه الدراسة في عدة نقاطٍ موجزةٍ منها:-

١.أن خطاب السيدة الزهراء "عليها السلام" لا يمثل مجرد موقف تاريخي فقط، بل يشكّل ايضًا إطارًا نظريًا حضاريًا يمكن الإفادة منه في معالجة أزمات الحاضر، شريطة توظيفه ضمن رؤية علمية واعية تراعي خصوصيات العصر وتعقيداته, وتوظيف القيم التي طرحتها السيدة الزهراء "عليها السلام" مثل العدالة والوحدة وصيانة حقوق الأمة في مشاريع الإصلاح الاجتماعي المعاصرة .

٢.اعتماد خطاب السيدة الزهراء "عليها السلام " مرجعًا تأسيسيًا في دراسة الفكر الإسلامي المبكر وإدخاله ضمن مناهج الدراسات التاريخية والفكر الإسلامي والعلوم السياسية .

٣.تفعيل المنهج الإصلاحي القائم على الاحتجاج العلمي والحجة الأخلاقية وربط الشرعية السياسية بالقيم الرسالية .

٤.إبراز دور المرأة المسلمة في صناعة الوعي الحضاري من خلال النموذج الزهرائي بوصفه نموذجًا رساليًا فاعلًا

٥.إعادة بناء مفهوم القيادة في الفكر الإسلامي على أساس الكفاءة العلمية والشرعية الأخلاقية المرتبطة بالقيم, وترسيخ مفهوم المسؤولية الأخلاقية للسلطة باعتبارها أساسًا لحماية المجتمع من الانحراف والاستبداد .

٦.إدماج الخطاب الزهرائي في المناهج التربوية لبناء وعي فكري وحضاري يجمع بين العقيدة والمسؤولية التاريخية .

٧.يوصي البحث بضرورة تعميق الدراسات الحضارية التي تتناول الخطاب الزهرائي التأسيسي من منظور مقاصدي وتطبيقي، وإدماج البعد القيمي في مشاريع الإصلاح والتنمية، بوصفه شرطًا لازمًا لأي نهضة حضارية حقيقية , وتشجيع الدراسات المستقبلية المقارنة بين خطاب الزهراء "عليها السلام" ومشاريع النهضة في الفكر الإسلامي اللاحق لإبراز البعد التأسيسي لهذا المجال .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢.الألوسي, شهاب الدين أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود . (1994م).روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .(ط.1) . بيروت :دار الكتب العلمية .
٣.أبو الأعلى المودودي (د.ت) .الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها .بيروت : دار العربية.
٤.البخاري , أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (1981م) صحيح البخاري . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٥.البزار , أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي .(2009م) المسند . تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله وآخرون .(ط.1).المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم .
٦.بعلبكي ، منير (1986م) المورد . بيروت : دار العلم للملايين .
٧.الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى .(1983م) .سنن الترمذي . (ط.2) . بيروت - لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر .
٨.التهانوي، محمد علي .(1996م). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مكتبة لبنان للنشر والتوزيع.
٩.توينبي ,أرنولد (1966). مختصر دراسة التاريخ .ترجمة فؤاد محمد شبل .القاهرة.
١٠.الجابري محمد عابد.(2000) .العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته.(ط. 4) .بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
١١.الجر، خليل .(1973م) .المعجم العربي الحديث .(ط.1). باريس : مكتبة لاروس .
١٢.الجوهري ,أبو نصر إسماعيل بن حماد .(1987م) . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور العطار. (ط.4). بيروت -لبنان: دار الملايين.
١٣.ابراهيم مصطفى المعجم الوسيط
١٤.أبو حامد الغزالي , محمد بن محمد (1988م) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ط. 1) . بيروت - لبنان :دار الكتب العلمية .

١٥.ابن شعبة الحراني , أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين .(1404هـ) تحف العقول على آل الرسول "صلى الله عليه وآله ".تحقيق علي اكبر الغفاري (ط.2) . إيران : مؤسسة النشر الاسلامي تابع لجماعة المدرسين بقم.
١٦.الحكيم , محمد باقر . (1425هـ) دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة (ط. 2) . مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت .
١٧.ابن حنبل , أحمد . (2001) مسند . تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد – وآخرون . مؤسسة الرسالة.
١٨.ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي.(2010م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . تحقيق: عادل سعد (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية
١٩.الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي 1997م) تاريخ بغداد، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا، (ط .1) . بيروت : دار الكتب العلمية .
٢٠.السمعاني, (1997م) تفسير السمعاني. تحقيق: ياسر بن إبراهيم.(ط.1) . السعودية - الرياض :دار الوطن.
٢١.السيوطي .جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .(1988م) معترك الأقران في إعجاز القرآن (ط.1) .بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية .
٢٢.الشريف الرضي , أبي الحسن محمد بن .(1412هـ) نهج البلاغة مجموعة خطب الإمام علي"عليه السلام" . تحقيق محمد عبده (ط.1) . قم - ايران : دار الذخائر.
٢٣.صبرى , إسماعيل . (1992م) . مقال بعنوان نحو نهضة عربية ثابتة الضرورة والمتطلبات . مجلة المستقبل العربي . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
٢٤.الطبري , محمد بن جرير.(1995م) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق : خليل الميس .بيروت- لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٥.ابن طاووس ,رضي الدين علي بن الطاووس الحلي(1413 هـ),اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بامرة المؤمنين تحقيق :الانصاري ,ط.1 , ايران - قم . مؤسسه دار الكتاب الجزائري .
٢٦.الطبرسي ، احمد بن علي بن ابي طالب. (1965م) الاحتجاج . تحقيق: محمد باقر الخرسان . النجف: دار النعمان للطباعة والنشر .
٢٧.الطبرسي ، احمد بن علي بن ابي طالب . (2011م) الاحتجاج .(ط. 1). لبنان - بيروت: الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨.الطريحي, فخر الدين .(1362 ش) .مجمع البحرين . (ط.2) .مطبعة جاجان طراوت .إيران .
٢٩.ابن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله .(1415 هـ) تاريخ مدينة دمشق .تحقيق علي شيري. بيروت - لبنان : دار الفكر للطباعة والنشر .
٣٠.ابن أبي عاصم,أحمد بن عمرو .(1993م) .السنة تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. (ط.3) . بيروت - لبنان :المكتب الإسلامي .
٣١.العسكري ، أبو هلال .(1412هـ) الفروق اللغوية . تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي (ط.1) . قم .
٣٢.الغزالي ، محمد . (1964م) .الإسلام والطاقات المعطلة . القاهرة : دار الكتب الحديثة .
٣٣.غليون، برهان (1992م).إغتيال عقل .بيروت :المؤسسة العربية للدارسات والنشر .
٣٤.القاضي النعمان المغربي ، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد .(1963م) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . تحقيق: محمد الحسيني الجلالي .(ط.2). قم : مؤسسة النشر الإسلامي .
٣٥.قطب، محمد . (2003 م) . من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر . مصر :دار الشروق للنشر والتوزيع .
٣٦.القضاعي, أبو عبد الله محمد بن سلامة(1986م) . مسند .(ط. 2). تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي, بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٧.الكليني, ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق .(د.ت) .الكافي تحقيق :علي اكبر الغفاري (ط.2) . طهران -إيران : دار الكتب الإسلامية .
٣٨.الليثي الواسطي ، علي بن محمد . (د.ت) عيون الحكم والمواعظ . تحقيق : حسين الحسيني البيرجندي . (ط .1) .مطبعة دار الحديث .
٣٩.المالكي الاشتري, ورام بن أبي فراس .(1368 ش). تنبيه الخواطر ونزهة النواظر.(ط.2). مطبعة حيدري . طهران : دار الكتب الإسلامية .
٤٠.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (1989م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية . بغداد : المكتبة العالمية.
٤١.مقاتل بن سليمان.(2003م) تفسير مقاتل بن سليمان . تحقيق: أحمد فريد.(ط. 1) . بيروت - لبنان :دار الكتب العلمية.
٤٢.ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد . (1405هـ) .لسان العرب . نشر أدب الحوزة .
٤٣.بن نبي, مالك. (1988م) .الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.(ط.3) . بيروت: دار الفكر.
٤٤. النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب.(1991م) السنن الكبرى .تحقيق :عبد الغفار سليمان البنداري .(ط. ١) بيروت- لبنان : دار الكتب العلمية.
٤٥.ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي أبو العباس شهاب الدين .(2003م) .التبيان في تفسير غريب القرآن . بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٤٦.وقيدي, محمد واخر.(2002م) .لماذا أخفقت النهضة العربية. دمشق : دار الفكر
٤٧.اليزدي, محمد تقي مصباح . (2020م) .أعظم شكوى وأبلغ بيان شرح الخطبة الفدكية. ترجمة: وائل علي. تحقيق :عباس كرائي .(ط.1). إيران : دار المعارف الحكمية .